أعلام الثقافة المعاصرون

كيركجارد

فريتيوف براتت

@ketab_n
Follow Me
29.2.2016

ترجمة

مجاهد عبد المنعم مجاهد

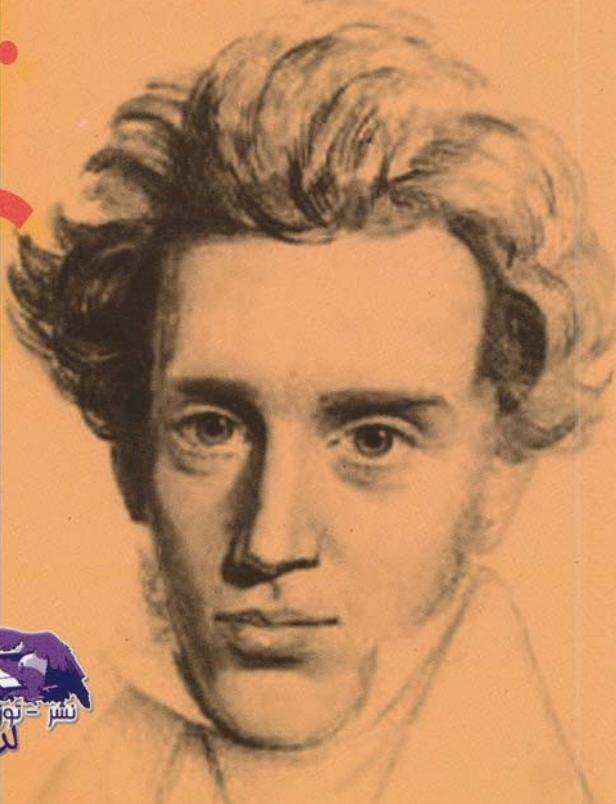

مكتبة دار الكلمة
LOGOS
نشر - توزيع
لدينا حلم

فريتيوف برانت

كيركجور

ترجمة

مجاهد عبد المنعم مجاهد

Twitter: @ketab_n

کیرکجور

Twitter: @ketab_n

جميع الحقوق محفوظة للناشر
لمكتبة دار الكلمة Logos
١٦ شارع محمود بسيوني من ميدان عبد المنعم رياض - الدور السابع - شقة ٢١ - وسط البلد - القاهرة - مصر
ت / ٢٥٧٩٨٤١٤ - ٠١٦١٣٧٣٢٩٨ - ٠١٨٦٥٤٨٣٨٨
www.el-kalema.com
Info@el-kalema.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٩
Søren Kierkegaard: His Life, His Works
Brandt, Frithiof. Det Danske Selskab. Danish Institute for Cultural Cooperation with Other Countries, 1963.

برانت، فريتيوف
كيركجور/ فريتيوف برانت، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد
. - القاهرة: مكتبة دار الكلمة، ٢٠٠٩
١٦٠ص؛ ٢٢ سم
تدمك × ١٦٠ ٣٨٤ ٩٧٧
الفلاسفة
أ- مجاهد، مجاهد عبد المنعم (مترجم) ب- العنوان
٩٢١,١

الطباعة والتنضيد: Copyology
0222693466
الجمع والإخراج الفني: زهور برنابا
تصميم الغلاف: أمجد إسحق
الإشراف الفني والإداري: محمد حسن أحمد غنيم
رقم الإيداع : ٢٤٩٠٨ / ٢٠٠٨
ISBN :977- 384 -160 - X

Twitter: @ketab_n

إلى الدكتور عبد الغفار مكاوي

مجاهد عبد المنعم مجاهد

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الإهداء ٥
١. مولده وأسرته ٩
٢. حياته والزلزال الأكبر ١٣
٣. الخطوبة ١٩
٤. التهكم ٢٥
٥. المؤلفات المجهولة المؤلف ٣١
٦. المراحل الكبرى الثلاث.....٣٧
٧. إما .. أو ٤٣
٨. مذكرات مُغوي البنات ٥٣
٩. القاضي ولهلم ٥٩
١٠. الرجعي ٦٥
١١. خوف ورعدة ٦٩
١٢. مفهوم القلق ٧٥
١٣. مراحل على طريق الحياة ٨١
١٤. حاشية غير علمية ٨٩
١٥. هجوم مجلة (القرصان) ٩٩
١٦. المرض حتى الموت..... ١٠٣
١٧. التدريب على المسيحية..... ١٢٣
١٨. الصراع مع الكنيسة القائمة..... ١٣١
١٩. الوفاة ١٣٩
٢٠. خاتمة: الوجودية ١٤٣

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

1

مولده وأسرته

ولد سورين كيركجور في كوبنهاجن يوم ٥ أيار (مايو) ١٨١٣ وينحدر كل من أبيه وأمه من أسرة جوتية، وهي قبيلة جرمانية غزت القارة الأوروبية في القرن الخامس. وقد جاء أبوه من مزرعة معدمة هي عبارة عن أرض سبخة في قرية صغيرة في جوتلاند الغربية علي بعد عشرة أميال من ربكوبنج. وقد عهد إليه وهو غلام الاعتناء بالماشية في المرج حيث عانى من البرد والجوع ولكن عندما بلغ من العمر اثنى عشر عاماً أرسل إلى كوبنهاجن ليعيش مع خاله الذي كان تاجراً غنياً. وهنك تلقى تعليماً وكون نفسه.

في الرابعة والعشرين من عمره شق طريقه بسرعة مذهلة وتمكن من التقاعد من العمل في الأربعين، وأمضى بقية حياته كرجل غني لديه فراغ شديد. ولم يمت إلا بعد أن أصبح في الثانية والثمانين عام ١٨٣٨، وفي تلك السنة كان ابنه سورين قد أصبح في الخامسة والعشرين.

وقد جاءت أمه أيضاً من منطقة سبخة في جوتلاند وكان أبوها من صغار الملاك وكانت الزوجة الثانية للأب

Twitter: @ketab_n

كيركجور وأم أولاده السبعة. وكانت قد دخلت المنزل في البداية كخادم لكنها تزوجت رب الدار قبل أن ينقضي عام على وفاة زوجته الأولى. وبينما ينوه سورين كيركجور بين الفينة والفينة بأبيه باعتباره صاحب التأثير الأكبر على حياته، فإنه لا يكاد يذكر والدته على الإطلاق. وقد وصفها الآخرون بأنها أم شفوقة حانية، ويبدو أن الجانب الروحي في طبيعة سورين كيركجور قد ورثه عنها. وماتت عام ١٨٣٤ وكان سورين في الحادية والعشرين من عمره.

ولقد كان سورين كيركجور أصغر الأبناء السبعة للأسرة. وعندما ولد كان أبوه في السادسة والخمسين وكانت أمه في الخامسة والأربعين وكان يطلق على نفسه أنه ابن الشيخوخة. ولقد هيمنت على البيت النزعة الأبوية والإرادة الصارمة اللتان يتصف بهما أبوه. لقد كان رجلاً موهوباً ثقف نفسه بنفسه وكان يجيد القراءة كما كان يشغل نفسه كثيراً بالمسائل الروحية. وكانت هيمنته الدينية من نوع إخوة هونهوتر. وكانت لديه نظرة كئيبة للحياة وربى أطفاله بشكل صارم من المسيحية تؤكد بصفة خاصة معاناة المسيح. وكان يعاني من نوبات متقطعة من الاكتئاب واليأس والشعور بالخطيئة والوسواس. وكان يشكك بصفة خاصة في خلاص روحه.

وليس هناك شك في أن سورين كيركجور قد ورث عن أبيه أعمق مكونات شخصيته والاكتئاب الذي كان ينتابه بين الحين والحين قد أثقل عليه، كما ورث عنه أيضاً قدرات التفكير البارزة، لقد ورث العقلية النفاذة والخيال الانفعالي. ولقد كتب كيركجور في مؤلفه "وجهة نظر تأليفي" على شكل سيرة ذاتية:

"وأنا طفل تربيت على المسيحية بصرامة وشدة وإذا جاز لي أن أعبر عن نفسي بإنسانية لقلت إنني

Twitter: @ketab_n

تربيت على نحو جنوني: وحتى في طفولتي المبكرة قيدتني انطباعات حطت عليّ من سوداوية الرجل العجوز الذي كان هو نفسه محاصراً بها - لقد كنت طفلاً تربى - بجنون - كرجل عجوز سوداوي".

ولقد كتب في موضع آخر: "إنني أدين بكل شيء لوالدي منذ البداية. وعندما كان يرى - وهو الرجل السوداوي - نظرتي الحزينة كان يقول: "انظر، إنك تحب يسوع المسيح كما يجب".

ولقد كان المسيح الذي يعاني هو ما عرضه الأب وقدمه لابنه. ولقد قال ابنه — منذ الصبى وما بعد ذلك— قد تربي على أن الحقيقة يجب أن يكابدها الإنسان ويجب التهكم منها والحط من شأنها. وهو يذكر بالمثل الوقار الذي يستشعره منذ الطفولة لأنه قبل أن يكابده بنفسه بفترة طويلة تعلم أن العالم تحكمه الأكاذيب والوضاعة والظلم. "حتى وأنا صغير كان يقال لي بوقار قدر الإمكان: إن (كل مخلوق) قد صفع المسيح (الذي كان في الواقع هو الحقيقة) وأن (الحشد) (الذين كانوا يمرون) قد صفعوه قائلين: (عار عليك)! ولقد احتفظت بهذا عميقا في قلبي وشكلت هذه الفكرة حياتي".

وهكذا كان الأمر. لقد ظلت صورة المسيح التي غرسها أبوه في عقل الطفل معه طوال حياته باعتبارها التجربة المهيمنة. ولقد كتب كيركجور في مواضع عديدة إن الانطباع السائد للمسيح الذي تكون في طفولته قد جعله تعساً إلى حد كبير. "لقد كانت المسألة برمتها مرتبطة، بالعلاقة مع أبي أكبر شخص أحببته - فماذا كان يعني هذا؟ إنه يعني أنه كان مجرد الشخص الذي يجعل من المرء إنساناً تعساً - ولكن من خلال الحب. ولا يكمن خطأه في نقص الحب ولكن في خلطه لإنسان عجوز بطفل". ولكن

Twitter: @ketab_n

إذا ما تحدثنا دينياً لا إنسانياً، كان شاكراً لأبيه على المدى الطويل "لقد تعلمت منه ما الذي تعنيه المحبة الأبوية. وهكذا أعطيت مفهوم الحب الأبوي الإلهي، الشيء الوحيد في الحياة الثابت الذي لا يتزعزع وهو النقطة الآرشميدية الحقة".

Twitter: @ketab_n

2

حياته والزلزال الأكبر

في عام ١٨٣٠، وكان سورين كيركجور في السابعة عشرة، أنهي تعليمه الثانوي وبدأ في التو يقرأ اللاهوت. ولا يُعرف إلا القليل عن سنواته الأولي كطالب، ولكن ابتداء من حوالي ١٨٣٤ تبدأ أولى مذكراته الشبابية التي حُفظت لنا. وهي تبين أنه كان يقرأ بتوسع في مجالات اللاهوت والفلسفة وعلم الجمال. وكان شغوفاً بصفة خاصة باللاهوت الألماني والفلسفة المثالية الألمانية والآداب الجمالية الرومانسية.

وكان من المتوقع علي نحو طبيعي أن يجتاز امتحانه النهائي في اللاهوت عام ١٨٣٥، ولكن بدءاً من السنة الدراسية ١٨٣٤/ ١٨٣٥ كان في حالة من القلق والتشوش الذهني العنيف. ولقد اضطر لفترة من الوقت أن ينقطع عن دراساته تماماً ويستريح في مصيف جيليليج الساحلي للعلاج خلال صيفي ١٨٣٤ و١٨٣٥، وهناك حاول أن يجلو أفكاره. ولقد كتب في مذكراته من بين أشياء عديدة:

> "إن ما أحتاج إليه حقاً هو أن أتطابق مع نفسي عما يجب عليّ أن أفعل لا عما يجب على أن أعرف إلا إذا كانت المعرفة ستكون مقدمة للعمل. وما يهم هو

Twitter: @ketab_n

فهم قدري وما يريده (مني) الله أن أفعله، أن ما يهم هو اكتشاف حقيقة تكون حقيقية (بالنسبة لي) وأن أجد (تلك الفكرة التي أعيش وأموت من أجلها)".

ومثل هذه الكلمات من طالب في الثانية والعشرين من عمره لهي أشبه باللحن الساري في حياته كلها. وإن معركة كيركجور من أجل مفهوم فلسفي شخصي للحياة إنما تسود كتاباته كلها. وعندما أقيم نصب تذكاري في رأس جليجرج في مصيف جيليليج في عام ١٩٣٥ للاحتفال بمرور قرن على بزوغ كيركجور الشاب، نقش على النصب تلك الكلمات المستمدة من نفس هذه المذكرات "ليست الحقيقة سوى أن تعيش من أجل فكرة". ونحن نفترض أنه حدث في خريف عام ١٨٣٥ هزة مخيفة عند كيركجور الشاب حددها في يومياته بقوله إنها "الزلزال الأكبر". وقد عبر عن نفسه عن هذا بكلمات غامضة دون أن يحدد شيئا على نحو دقيق. والفقرة الأساسية على هذا النحو".

"لقد وقع آنذاك (الزلزال الأكبر) الهزة المخيفة التي أثرت فيَّ على نحو فجائي بتفسير جديد لا يخطئ لكل ظاهرة. ثم بدأت الشك في أن سن والدي المتقدمة ليست نعمة إلهية. بل هي بالأحرى لعنة، إن القدرات العقلية البارزة لأسرتنا لا توجد إلا لتعذب الآخرين، ثم شعرت بصمت الموت يتزايد فيَّ عندما رأيت في والدي رجلا تعساً قد يظل حياً بعدنا جميعاً، حجراً على كل آماله. لابد أن خطيئة ما كانت معلقة على كل الأسرة، عقاباً من الله على هذه الأسرة، وهي يمكن أن تتلاشى وتتبخر بلمسة من يد الله القديرة فتزول كتجربة فاشلة. وأحياناً كنت أجد العزاء في أن على والدي واجباً باهظاً لتهدئتنا ببث عزاء الدين فينا جميعاً، حتى يظل لدينا عالم أفضل حتى لو فقدنا كل شئ في هذا العالم، حتى لو كان العقاب الذي يريده

Twitter: @ketab_n

اليهود لأعدائهم يروعنا "أن تكون ذاكرتنا متأثرة تماماً وألا نُستكشف".

وليس هناك إلا شك واهن في أن (الزلزال الأكبر) و(القانون الذي لا يخطئ للتفسير) الذي كان هو العلة له، هو الذي لعب دورا أساسيا كما لعب دورا حاسماً في بعض المواضيع الحاسمة في بقية حياة كيركجور خلال فترة الشباب. لقد شعر بأن الموت يتعقبه. وليس معروفا القلق المخيف الذي انتابه من أي شيء يتكون وإن لم تصعب معرفة أرضية القانون الذي لا يخطئ، الخاص بالتفسير "إن الأسرة بكاملها يجب محوها".

وكما ذكرنا من قبل، كان هناك سبعة من الإخوة والأخوات. ولكن مع نهاية عام ١٨٣٤ لم يتبق إلا اثنان أحياء: سورين نفسه وأخوه بطرس الذي كان يكبره بثماني سنوات. أما أخوته، سورين ميخائيل (١٣سنة) وويلنز اندرياس (٢٤سنة) وأخواته كارين كيرستاين (٢٥سنة) ونيكولين كريستاين (١٣ سنة) وبتريا سيفيرين (٣٤سنة) فقد ماتوا جميعاً. والثلاثة الأخيرون ماتوا ما بين ١٨٣٣ و١٨٣٤، كما ماتت أمهم أيضاً في عام ١٨٣٤ ولم يبق إلا الأب العجوز وابناه. وبعد هذا أصبحت علاقات سورين كيركجور بأخيه الوحيد علاقات مكبوحة كما كبحت أيضاً علاقاته بأبيه بالمثل. ونتبين من هذه الكلمات: "إن القدرات العقلية البارزة لأسرتنا لم توجد إلا لتقضي على كل فرد آخر". ولا شك أن كيركجور قد تأمل في عدد الوفيات الغريب وجاءت البنية الحقيقية عنده دائماً بنية دينية، فما الذي يعنيه الله بهذا؟ ثم وجد "القانون الذي لا يخطئ الخاص بالتفسير": يجب الإطاحة بالأسرة كلها ولابد أن هناك خطيئة ما تحلق فوق الأسرة كلها.

ويمكن أن نتبين من خلال الكتابات الأخرى أن كيركجور

Twitter: @ketab_n

كان يعتقد أيضاً على نحو شديد بأن أقصى سن سيصل إليه يجب أن يكون ٣٤ عاماً، وعندما بلغ هذا العمر في ٥ أيار (مايو) ١٨٤٧ كتب في يومياته: "عجيب أنني في الرابعة والثلاثين. إن هذا غير مفهوم بالمرة بالنسبة لي، لقد كنت على يقين بأنني يجب أن أموت قبل هذا التاريخ أو معه حتى لقد اعتقدت حقاً أن تاريخ ميلادي لابد أن هناك خطأ في تسجيله، وأنني على هذا سوف أموت وأنا في الرابعة والثلاثين". ولم يعط كيركجور أي تعليل لهذا الرقم الغريب لأنه كان يحب أن يكون غامضاً. ولكن مما يمكن التنويه به أن الرقم ٣٣ لم يكن فحسب عمر الجيل من تلك الحقبة بل هو أيضاً عمر المسيح وربما كان يعتقد أن أياً من أخوته وأخواته لم يتجاوز الرابعة والثلاثين، وربما كان هذا أهم تبريراته. أما هو فقد عاش حتى الثانية والأربعين.

ولقد انشغل الباحثون عن حياة كيركجور انشغالاً كبيراً بمسألة هذه الخطيئة التي يظن كيركجور أنها تلقي بكاهلها على عاتق الأسرة كلها وتفسير السبب الذي من أجله توقع عقوبة عليها لمحوها بالمرة.

وهناك واقعتان تنكشفان وكلتاهما تخص حياة والد كيركجور. لقد كتب كيركجور في يومياته عام ١٨٤٦: "الشيء المرعب في هذا الرجل الذي كان صبياً صغيراً يرعى الغنم في مراعي جوتلاند، ويعاني الكثير وهو في حالة جوع وعوز، أن وقف فوق تل يلعن الله. ولم يتمكن هذا الرجل أن ينسى هذا حتى عندما أصبح في الثانية والثمانين". وعندما وضع ناشر الوثائق المجهولة لسورين كيركجور هذا الاستهلال أمام الأسقف كيركجور وهو الأخ الأكبر لسورين عام ١٨٦٥ انفجر باكياً وهو يقول: "هذه هي قصة أبي - وقصتنا (نحن) أيضا". أما الواقعة الأخرى فهي أن زوجة الأب الأولى توفيت في ٢٣ آذار

Twitter: @ketab_n

(مارس) ١٧٧٦ وفي ٢٦ نيسان (أبريل) ١٧٩٧ تزوج زوجته الثانية التي أنجبت ابنها الأول بعد خمسة أشهر فقط من الزواج، وحسب التفسير المسيحي يعد هذا انتهاكاً لأوامر الله.

وعلى أي حال فإن النقطة الرئيسية عن "الزلزال الأكبر" ليست هي ماهية هذه الخطينة أو الخطايا بل اعتقاد كيركجور النهائي في الإطاحة بالأسرة ومحوها من الوجود. وإلا لن نتمكن من فهم سنوات شباب كيركجور بعد ١٨٣٤-١٨٣٥. لقد شعرنا بأن الموت يصحبه وتوقع ألا يعيش بعد سن الرابعة والثلاثين. إن الموت قد يأتي في أي لحظة. والنتيجة أنه قد افتضح دينياً واقتفى مباهج الحياة بينما كانت هناك فسحة من الوقت. ولقد رمى بنفسه - وخاصة خلال عام ١٨٣٦- في فترة مكثفة من الملذات. ومن الناحية العملية قطع علاقاته بوالده وانتقل من البيت وغرق في ديون كبيرة. كما أنه تعرض لبعض الانحرافات الخلقية التي لم يسامح نفسه عليها إطلاقاً فيما بعد. ولا نعرف ماهية هذه الانحرافات. وكانت سنوات ١٨٣٦-١٨٣٧ أكثر سنوات الاضطراب في حياة كيركجور الشبابية. لقد كانت سنوات إثارة صاخبة تتخللها كآبات عميقة. لقد اختلط برواد المقاهي واختلط "بجميع أنواع الناس". ولقد اعتبر هذه السنوات فيما بعد سنوات ضلال بعد أن سار في (طريق التوبة).

وعلى أي حال نجده يلوم المسيحية خلال ربيع عام ١٨٣٨، وفي آيار (مايو) من هذا العام انتابته نزعة لادينية. وهناك استهلال في يومياته تاريخها ١٩ أيار (مايو) الساعة ١٠,٣٠ صباحاً يجري هكذا:

"هناك فرح (لا يوصف) يتوهج من خلالنا وهو فرح لا يمكن التعبير عنه بمثل ما لا يمكن التعبير عما انفجر

Twitter: @ketab_n

به المسيح دون دافع ظاهر" (ابتهجوا، مرة أخرى أقول: ابتهجوا) - لا فرح بهذا الصدد أو ذاك، بل صيحة النفس من صميم القلب (باللسان والفم ومن أعماق القلب). (إنني أبتهج في فرحي ومن فرحي وفي فرحي ومع فرحي وإلى فرحي وعلى فرحي وبفرحي وبصحبة فرحي) - وهو حمل ثقيل يقطع فجأة - وإلى حد ما - أغنياتنا الأخرى "إنه فرح أشبه بتنفس الريح يهدئ وينعش، عاصفة من الريح التجارية التي تهب من السهول على المنازل الخالدة".

وفي هذه الفترة تصالح مع أهل بيته. وبعد أشهر قليلة مات الأب في آب (أغسطس) ١٨٣٨ على عكس كل التوقعات. وقد كتب كيركجور في يومياته: "لقد مات والدي في الساعة الثانية ليلة الأربعاء. ولقد كنت أتمنى من قلبي أن يعيش بضع سنين أكثر وأنني أعد موته آخر تضحية قام بها من أجل محبته لي، ولأنه لم يمت (مني) بل (من أجلي) فإنني لا أزال أستحيل إلى شيء". وبعد أن نشر بحثاً قصيراً عن هانز أندرسون ككاتب روايات تحت عنوان له دلالة هو: "من أبحاث إنسان لا يزال حياً"، أخذ على عاتقه أن يكفر عن الوعد الذي أعطاه لوالده. وفي تموز (يوليو) ١٨٤٠ اجتاز امتحاناته النهائية في اللاهوت وهكذا أنهى فترة طلبه التي دامت عشرة أعوام وهي فترة كانت حافلة بالتجارب الباطنية والخارجية.

Twitter: @ketab_n

3

الخطوبة

بعد أن اجتاز سورين كيركجور امتحانه قام برحلة في التو إلى جوتلاند الغربية حيث سايدنج مسقط رأس والده. وتبين مذكراته أن هذه الرحلة كانت نوعا من الحج فنجد على سبيل المثال:

> "إنني أجلس هنا هادئاً تماماً أعد الساعات إلى أن أرى سايدنج. إنني لا أستطيع على الإطلاق أن أتذكر أي تغيير في والدي، والآن ها أنا أري المواضع التي رعي فيها أغنامه والمواضع التي شعرت عندها بالحنين وذلك استناداً لأوصافه. فلنفرض أنني وقعت فريسة المرض وكان عليّ أن أدفن في فناء كنيسة سايدنج! فكرة غريبة. إن رغبته الأخيرة قد تحققت (ضرورة أن يكمل سورين كيركجور دراسته في اللاهوت) هل كل مصيري الأرضي كامن في ذلك؟ لقد تحققت مشيئة الله! إن المهمة على أي حال ليست مهمة بسيطة إذا ما نظرت إليها في ضوء ما أدين به له".

واضح مرة أخرى هنا أن كيركجور شعر بأن مصيره أيما ارتباط بمصير والده. وهناك ملاحظات عديدة من

Twitter: @ketab_n

نفس النوع تظهر أن سورين كيركجور - بالإضافة إلى ملاحظات عديدة أخرى - قد كشف عن مقال فريد للغاية لما يسميه علم النفس الحديث "التثبيت على الأب". فإذا أخذنا هذا في الاعتبار مع خلفية إيمان كيركجور العميق بأنه سيموت قبل الرابعة والثلاثين من عمره فإننا نندهش أن نجده بعد أشهر عديدة في شهر أيلول (سبتمبر) ١٨٤٠، يتقدم لخطبة فتاة شابة للغاية هي ريجين أولسن الجميلة البالغة من العمر الثامنة عشرة وهي ابنة كاتب بوزارة الخزانة. ولقد وافقت بعد إلحاح من أبيها وأعقبت هذا سنة خطوبة مليئة بالعاطفة والتعذيب. فهل كان سورين كيركجور واقعاً في حبها حقاً؟ إن الدارسين لم يتمكنوا من الوصول إلى اتفاق حول هذه المسألة. واعتقدوا أنه كان محباً بالقدر الذي تسمح به طبيعته المتمركزة حول الذات. ولقد كان هذا الحب دون شك حباً عقلياً، إنه شأن من شؤون الحب المتعلق بالخيال. لقد كان كيركجور يحلم بها لعدة سنوات قبل الخطوبة ولقد بث أحلامه مرة أو مرتين في مذكراته. وهكذا نجد في عام ١٨٣٩ الاستهلال التالي:

> "أواه يا (ريجينا) يا حاكمة قلبي، أيتها الخفية في أعماق أعماق قلبي، الخفية في أعظم أحلام حياتي، هناك، في المكان القصي البعيد بُعد الجنة عن الجحيم - حيث الألوهية المجهولة!".

ويقول كيركجور نفسه إنه في اليوم التالي للخطوبة تيقن أنه أخطأ. فتملكته الكآبة مع الشك والقلق بشأن ما إذا كان يستطيع أن يواصل الحياة وهو متزوج. وغالباً ما يشير كيركجور بكلمات غامضة في يومياته إلى الأسباب التي تدعوه إلى فسخ الخطوبة. فلقد تحدث مراراً عن علاقته بأبيه، وعن مزاجه السوداوي، وعن حياته غير الواقعية، وعن الشوكة التي تدمي جانبه، وعن عجزه عن تحصيل

Twitter: @ketab_n

المطلق، وعن الزواج الذي يتطلب الصراحة في وقت العرس. "ولكن إذا كان عليَّ أن أكشف نفسي فإنه سيتوجب عليَّ أن أشركها في أشياء مرعبة: علاقتي بأبي، سوداويته، الحلكة الأبدية المخيمة على معظم نظرتي، انغماسي في الشهوة والعربدة". والتأكيد الرئيسي يقع على أبيه دون شك والسوداوية وعلى الشعور بالخطيئة. "إن تمسك بهذه الصبية المحبوبة بين يديك وأن تجعل من الحياة غناء لها وأن تريها الفرح الغامر وهو أعظم سعادة لدى السوداوي، ثم تتمسك بالصوت المصيري: (يجب أن تتخلى عنها) هذا هو عقابك، يتجسد أكثر بمرأى كل معاناتها وابتهالاتها ودموعها تلك التي لا تدرك أنها عقابك أنت". ولقد ظل كيركجور يعتقد طيلة حياته أن المسألة كانت عقاباً من وجهة النظر الدينية.

ويبدو أن عنصر المحبة كان ذا أهمية بالنسبة لكليهما. فلقد كان إلى حد كبير حباً روحياً من الطرفين، ولابد أن هذا كان له عمقه المعقول في أحيان كثيرة، ولقد حفظت لنا مجموعة من رسائل كيركجور لخطيبته ومنها يمكن أن نتبين - من ضمن أشياء عديدة أخرى - أن كيركجور كان كيّساً ودائم التفكير في هذه الشابة، وكان يغمرها بالهدايا المزودة برسائل التي قد تظهر أنها رومانسية ومصطنعة لكنها تخفي خلفها شعوراً عميقاً. وكمثال صارخ يمكن أن ندرج رسالة تحية بالعام الجديد ١٨٤١ ومعه هدية:

> "عزيزتي ريجين! لقد بعث لك الله بسنة جديدة حلوة، ابتسامات كثيرة ودموع قليلة! إنني أبعث لك مع هذه الرسالة منديلاً. وأتمني أن تضعيه تحت وسادتك. فإذا حدث واستيقظت فجأة منزعجة من حلم مؤلم ولا تملكين ساعتها أن تكفكفي دموعك إذن جففي دموعك بهذا القماش من الكتان. ثم فكري

Twitter: @ketab_n

في أنني أنا الذي بعثت به إليك وأنني أنا نفسي الذي أود أن تكفي عن البكاء. ولكن عندما تكونين سعيدة وأنت في حالة سلام وتكونين غنية غنى الأرملة الفقيرة التي تتنازل عن كل ما لديها وتكونين أغنى من العالم، استلقي برأسك على الوسادة نفسها وسوف يذكرك قماش الكتان بي بأنك قد جففت دموعي وأنك الوحيدة التي فعلت هذا تماماً كما أنك الوحيدة التي شاهدتها. وحينئذ عندما تتمنين لنفسك سوف تتمكنين بسهولة من رؤية صورتي في هذا القماش. لقد جففت فيرونيكا المقدسة عرق المسيح بقماش غال من الكتان ومكافأة لها انطبعت صورته في القماش وعندما طوته خمس طيات كانت لديها خمس محبات منه. وحتى تتمكني من أن تري صورتي في هذا القماش يجب أن تتصوريها بنفسك وأنا أعلم أن هذا في وسعك. أوه، ولكن لا تصوريني كشخص مضطرب وقلق، لا تصوريني كشخص لم تغمره نعمة السلام من جراء الأفكار والظلام، لا تصوريني كإنسان ركبه أسى سرى كروح قلقة تضرب في الآفاق، بل صوريني كإنسان شفوق ورقيق مليء بالأمل والثقة. وأود ألا يفارق هذا القماش وسادتك مهما تكن الظروف"

صديقك

س. ك.

وبعد عديد من الصراعات والأزمات قرر كيركجور في النهاية أن يفسخ الخطوبة في آب (أغسطس) ١٨٤١ فأعاد خاتم الخطوبة لها مع كلمة الوداع التالية:

"حتى لا تعقد جلسة للنظر فيما سيحدث عندما يحدث إذن لنجعل الأمر يتم. فوق كل شيء إنسي

Twitter: @ketab_n

ذلك الذي يكتب هذا الآن: سامحي إنساناً حتى لو كان قادراً. فهو غير قادر على تحقيق السعادة لفتاة. وفي الشرق الأقصى يُعَدُّ إرسال وتر من الحرير بمثابة الموت للراسل، وهنا يعني إرسال خاتم الموت بالتأكيد لذلك الذي أرسله".

غير أن خطيبته ما كانت تسمح بأن تحرره من الخطوبة حتى هذه اللحظة. ولقد مر شهران اعتبرهما كيركجور "فترة رعب" قبل أن يحدث الفسخ النهائي للخطوبة. وخلال هذه الفترة اختلق الكثير ليشوه صورته في عين خطيبته وحاول أن يجعلها تعتقد أنه شخص عاجز وأنه إنسان مفضوح ومخادع وذلك حتى يكرّهها في شخصه، لكنها ما كانت تصدق هذا إلا بصعوبة. ولقد تزوجت فيما بعد وجاء زواجها سعيداً لكنها ظلت طول حياتها تحمل ذكرى عطرة لكيركجارد. وكان لهذه الخطوبة التعسة تأثير بالغ على كيركجور ككاتب وهذا ما سوف نتبينه فيما بعد.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

4

التهكم

لم تكن سنة الخطوبة علي أي حال سنة معاناة فقط ففي هذه السنة كتب كيركجور أطروحته للدكتوراه وموضوعها: (حول مفهوم التهكم إلى سقراط بصفة خاصة). ولقد تمكن كيركجور من أن يمسك بناصية المسائل التجريدية وفي الوقت نفسه أمسك بناصية ظروف الحياة الملموسة العينية. ولا يتميز هذا الكتاب بحدة لهجته غير المعتادة فحسب بل يتميز أيضا بشرارة الذكاء والألمعية. ولقد كان كيركجور نفسه سيدا في فن التهكم.

لقد كان كيركجور الشاب لا يزال في هذه الفترة يفسر شخصية سقراط وتقدير أهميته متعمداً على هيجل، فكيركجارد يذهب كما ذهب هيجل إلى أن أهمية سقراط في تاريخ العالم ترجع إلى تأكيد الذاتية في مقابل النزعة الكلية. وبلغة معاصرة يمكن القول بتأكيد حق الفرد (الشخص) داخل المجتمع والدولة الذي كان مبرراً في ذلك الوقت حسبما يرى هيجل (وكيركجارد معه). لكن كيركجور تمسك أكثر مما تمسك هيجل بأن سقراط لم تكن له وجهة نظر موضوعية على الإطلاق. فالتهكم السقراطي يشير إلى موقف سلبي تجاه الأخلاقيات والفكر في عصره. إن

Twitter: @ketab_n

سقراط يمثل عنده ما أسماه كيركجور "السلب اللامتناهي والمطلق". إنه يمثل عنده باللغة الحديثة النزعة العدمية. وبعد أن توصل كيركجور إلى وضوح كامل عن وجهة نظره الأساسية في الفلسفة صحح من أطروحته سواء بالنسبة لفهمه لطبيعة التهكم السقراطي وكذلك بصفة خاصة بالنسبة لتقييمه لسقراط. لقد أصبح يمثل بالنسبة لكيركجارد مثال "المفكر الوجودي"، لأنه يؤكد حقوق الشخص التي تمثل - على نحو كاف - محتوى موضوعيا.

ولم تكن الأطروحة قاصرة على التهكم السقراطي بل كانت تمتد أيضا إلى تناول التهكم الرومانتي يتبدّى من الحركة الرومانتية الألمانية التي كانت سائدة ونمطية في ذلك الوقت. (تايك، شليجل، سولجر وآخرون) ولقد وافق كيركجور على هذا التهكم الرومانتي طالما أنه احتجاج على عالم الإنسان المتوسط حيث يتبدى الناس "كما لو كانوا حفائر فحسب في ظروف اجتماعية محدودة". ولقد رسم كيركجور بأسلوب مليء بالسخرية صورة معبرة عن عالم الإنسان المتوسط هذا:

> "إن كل شيء كامل وتام في تفاؤل صيني إلهي لا يسمح بأي اشتياق معقول لأن يظل الإنسان غير راض، لا يسمح بأي اشتياق معقول لرغبة معقولة لم تتحقق. إن المبادئ العظيمة للعادة هي موضوعات العبادة الورعة، كل شيء مطلق حتى المطلق نفسه، وممنوع على الإنسان التعدد، ويلبس الإنسان قبعة ذات حافة عالية. كل شيء له معنى. وكل إنسان ينظر إلى موضوعه بتقدير متباين، ما مقدار ما أنجزه، ومقدار الأهمية الكبرى التي تشكلها جهوده المبذولة بالنسبة له وبالنسبة للكل. وكل شيء يسير في طريقه على ما يرام حتى الخاطب الذي يزمع

Twitter: @ketab_n

الزواج، لأنه يعرف كيف يسير في طريق مشروع ويتخذ خطوة خطيرة جادة. وكل شيء بميقاته فأنت تقوم بالرحلات المبهجة الريفية في عيد ميلاد يوحنا المعمدان وأنت تندم يوم الصلاة الكبير، وأنت تقع في الحب عندما تصل إلى سن العشرين وأنت تتوجه إلى سريرك في العاشرة مساء. أنت تتزوج وأنت تعيش من أجل الحياة المنزلية ومكانتك في الدولة، ويصبح لك أطفال ومتاعب أسرية، وأنت تكون بكامل رجولتك، وتلحظك الأنظار في الأماكن الراقية لأريحيتك وأنت على وفاق مع الكاهن ومن خلال رأيه تنجز أعمالك الجميلة بصفة خاصة وهو يدبج خطبة عصماء والتي تعرف أنه يحاول عبثاً أن يستخلصها من أعماق قلب مُستثار. إنك صديق بالمعني الحقيقي والمخلص للكلمة، إنك صديق حقيقي. وأنت تعلم العالم، وأنت تربي أطفالك على نفس الغرار، ولقد كنت متحمساً ذات مساء منذ أسبوع من ثناء الشاعر على جمال الخلق، ثم مرة أخرى تعيش كلياً من أجل أسرتك سنة بعد أخرى بيقين وإحكام لا يتغير ولو للحظة. إن العالم في طفولته الثانية، ويجب أن يتجدد".

ويرى كيركجور أن احتجاج الرومانتية ضد كل هذا له فوائده.

"إن نسمة باردة ونفساً منعشاً لهواء الصباح من الغابات البكر الخاصة بالعصور الوسطى أو من الأثير النقي لليونان تهب عبر الرومانسية، إنها ترسل نفساً بارداً حتى أعناق المتوسطين من البشر، لكن لا يزال عليها أن تطيح بالإعلاء الحيواني الذي لا يزال الإنسان يتنفسه. لقد كرت مئات السنين

Twitter: @ketab_n

وقامت القلاع الضخمة واستيقظ سكانها وتنفست الغابة بخفة وغنت الطيور والأميرة الجميلة عادت تجذب الخطاب من حولها، وعادت الغابة تدوي بنفير الصيد وعبقت المروج وانفلت الشعر والأغنية من الطبيعة ولا أحد يعلم من أين تأتي وإلى أين تمضي".

لقد تجدد العالم على يد الرومانتية ولكن كما لاحظ الشاعر هايني لقد تجدد العالم لدرجة أنه أصبح من جديد طفلا صغيرا.

"إن سوء حظ الحركة الرومانتية هو أنها لا تلتقط الواقع. إن الشعر يوقظ ويبعث أشكال الحنين والإلهامات السرية والمشاعر المتحمسة، إن الطبيعة تستيقظ والأميرة الساحرة تستيقظ، والرجل الرومانتي يغرق في النوم. وهو يعيش كل هذا في حلم وبينما كل شيء من حوله في حالة نوم فإن كل شيء يستيقظ لكنه هو ينام. غير أن الأحلام لا تُغني. إنه يستيقظ متعباً وضعيفاً مجردا من القوة لكن يهيئ نفسه للنوم ثانية ثم عليه بعد هذا أن ينتج الحالة الخاصة بالسير ونحن نيام بالوسائل المصطنعة. ولكن كما زادت الحاجة للفن بعد المثال الذي تاق إليه الرومانتي.

إن الكتابة الرومانتية تتأرجح بين هذين القطبين. ومن جهة يوجد (الواقع كما هو) بكل نزعة الرجل المتوسط التعس، ومن جهة أخرى يوجد (الواقع المثالي) بكل أشكاله الوردية. وكل من هذين العاملين يحتاج إلى العلاقة بالآخر. وكلما أضفى الطابع الكاريكاتوري على الواقع ازدادت المثالية انبعاثا وكل ما هنالك أن مصدر ما ينبعث هنا لا ينبعث من أجل الحياة الخالدة. ولكن لما كان هذا الشعر يتأرجح بين قطبين متعارضين. فإنه يبين أن (الشعر الحق) (لا) يكمن في المعنى الأعمق. إن المثال الحق ليس

Twitter: @ketab_n

شيئاً قائماً في ما وراء العالم، بل هو كامن خلفه باعتباره قوة ضاغطة. إنه أمامنا طالما أنه الهدف الملهم ولكنه فينا وهذا هو حقيقته".

إن هذه الفقرات دالة تماماً على كيركجور، فهو منذ شبابه حتى وفاته مليء دائما بالتهكم والاحتقار للعالم السطحي عالم القناعات المعتادة لدى الناس العاديين المتوسطين وهو يؤكد جدارات الشعر. وهكذا كان رومانتياً تماماً لكنه يذهب إلى أن الشعر يجب أن يرسو على شاطئ الواقع، وإلى هذا الحد كان كيركجور (واقعياً) أيضا.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

5

المؤلفات المجهولة المؤلف

وبعد أن أنهى كيركجور أطروحته وفسخ خطوبته في تشرين أول (أكتوبر) ١٨٤١ اتجه إلى برلين التي كانت في ذلك الوقت مركز الفلسفة واللاهوت. وعلى الأرجح كان عزمه أن يتأهل من أجل كرسي الفلسفة في كوبنهاجن الذي ظل شاغراً منذ وفاة بول مارتن موللر الشاعر الفليسوف في عام ١٨٣٨، وفي جامعة برلين ألقى الفليسوف العجوز فريدريك شلنج سلسلة من المحاضرات عن فلسفة (وضعية) جديدة موجهة ضد هيجل وقد حظيت باهتمام بالغ. وقد حضر كيركجور هذه المحاضرات وغيرها وكتب في يومياته:

"إنني سعيد للغاية أن استمع إلى محاضرة شلنج الثانية، إنها شيء لا يمكن أن يوصف! الآن أستطيع أن أتنفس الصعداء وتستطيع الأفكار أن تتنفس الصعداء معي. عندما نطق بكلمة (الواقع) - بصدد العلاقة بين الفلسفة والواقع - حينئذ وثبت فورة الفكر داخلي بالفرح. وإنني أستطيع أن أتذاكر كل كلمة نطق بها بعد تلك اللحظة. ربما من هنا يأتي الوضوح. إن هذه الكلمة الواحدة إنما تذكرني

Twitter: @ketab_n

بكل معاناتي وكربي الفلسفي".

ومع هذا كان شلنج خيبة أمل بالنسبة له. وقد كتب فيما بعد ضمن رسالة: "إن شلنج يتحدث دون انقطاع بفضفضة وتكثيف على السواء". وبدل أن يواصل كيركجور دراساته بدأ يعمل في كتاب ضخم كان يشغل ذهنه منذ حين. وفي آذار (مارس) ١٨٤٢ رجع إلى وطنه مبكراً عما كان قد خطط لكي يكمل كتابه، وقد نشر ككتاب مجهول المؤلف في شباط (فبراير) ١٨٤٣ بعنوان: "إما ... أو" وله عنوان فرعي: "شذرة حياة" وقد نشره فكتور أرميتا. وهو في مجلدين الأول في ٤٧٠ صفحة والثاني في ٣٦٨ صفحة.

غير أن هذا الكتاب لم ينشر إلا بعد أن انتابت كيركجور حمى الكتابة فألف ونشر "الرجعي" وقد نشره قسطنطين قنسطينيوس (١٨٤٣) و"خوف ورعدة" نشره جوهانز دي سيلنتيو (١٨٤٣) و"شذرات فلسفية" نشره جوهانز كليماكوس (١٨٤٤) و"مفهوم القلق" نشره فيجيليوس هاوفمينيسس (١٨٤٤) و"تصديرات" نشره نيقولاوس نوتابيني (١٨٤٤) و"مراحل على طريق الحياة" نشره هيلاريوس بوكبنرر (١٨٤٥) و"خاتمة حاشية غير علمية" نشره جوهانز كليماكوس (١٨٤٦). ومن بين هذه المؤلفات يقع كتاب "المراحل" في ٣٩١ صفحة و"الحاشية" في ٤٨٤، وكل هذه الكتابات تشكل ما أسماه كيركجور (المجهولة المؤلف) وكان قصده أن يصدر سلسلة من وجهات النظر في الحياة والتي أسماها أيضاً "مراحل الحياة" لمؤلفين خياليين.

ومع الكتاب الأخير الذي كتبه عام ١٨٤٦ اعتبر كيركجور نفسه أنه استنفد هذا الموضوع. وفي حاشية على هذا الكتاب اعترف بتأليفه للكتابات المجموعة المجهولة المؤلف. وفي الوقت نفسه شكر "العناية الإلهية التي رعت

Twitter: @ketab_n

جهودي، رعتها دون توقف ليوم واحد طوال أربع سنوات ونصف سنة ووهبتني أكثر مما كنت أتوقع، إنه أكثر مما كنت أتوقع حتى لو أنّ ما أنجزته بدا للآخرين بلا معنى".

إن هذا الإنجاز العقلي الفريد يبدو شيئاً لافتاً للنظر لأن سورين كيركجور يبدو من الناحية الصحية ضعيفاً وواهناً. وكثيراً ما كان يتشكى "من عدم التناسب بين نفسي وجسمي" أي بين العقل القوي قوة لا تصدق والجسم الواهن. ولقد كتب في رسالة إلى صديقه الوحيد اللاهوتي أميل بوسن من برلين عام ١٨٤٣:

"لو وصلت أمس، وأنا أعمل اليوم، إن العرق ينبضِ في جبهتي. إن ما ذكرته لك من قبل أشعر تقريباً بأنه تأكد أنني في طريقي لأن أمرض وهذا هو كل ما هناك. إن الله يعرف، حسناً إذن فليقع الأمر. ومن هذه اللحظة نفسها فإن الأفكار المكتظة تعمل ثانية والقلم يزدهر في يدي".

وبعد أسبوع أو نحو ذلك كتب مرة أخرى:

"لقد أنجزت عملاً يعد هاماً بالنسبة لي، إنني عاكف على عمل جديد بكل سرعتي، وإن مكتبتي لا غنى عنها لي، وكذلك المطبعة. وإنني أبدأ الحكاية فأقول لقد كنت مريضاً والآن أنا على ما يرام حقاً، أي أن عقلي يتملى وربما يكون في هذا موت جسمي. وإنني لم أعمل إطلاقاً من قبل بتكثيف كما أفعل الآن. وكل صباح أقوم بنزهة قصيرة ثم أعود إلى المنزل وأقبع في حجرتي حتى الساعة الثالثة دون توقف وكنت لا أكاد أبصر، ثم أزحف ومعي عصاي إلى مطعم في الخارج لكنني واهن حتى إنني اعتقدت أنه لو صرخ مخلوق باسمي بصوت عال فسوف أقع ميتاً. وبعد هذا أرجع إلى المنزل

Twitter: @ketab_n

وأبدأ من جديد. وخلال الأشهر القليلة الأخيرة تتدفق الأفكار علىَ: وهي أشبه بالأطفال الأصحاء السعيدة المرحة المباركة تولد بسهولة ومع هذا فهي تتوالد مع توالد شخصيتي. وإلا فإنني أكون - كما ذكرت - ضعيفاً وترتعد ساقاي وأشعر بآلام في ركبتي وهكذا".

وأحيانا ما كان كيركجور يستشعر بخوف من قوى إنتاجه (الشيطانية) وكان يضطر إلى الحصول على عون من التفكير في الله. ولقد كتب في موضع ما:

"يقال أن الشاعر يثير ربات الشعر لترسل إليه بالأفكار. وهذا لم يكن حالي على الإطلاق، إن فرديتي تهيب بي ألا أفهم حتى هذا، بل على العكس إنني بحاجة إلى عون الله كل يوم ليزودني بدرع يحميني من ثراء الأفكار. وفي الحقيقة إذا ما مُنح إنسان مثل هذه القدرة على الإنتاجية ومثل هذه الثروة الدقيقة الطائلة فإنه سيتعلم كيف يصلي. لقد كانت لدي في كل لحظة القدرة على تحقيق هذا العمل الفني ولا أزال أستطيع أن أفعل هذا: إنني أستطيع أن أجلس وأتدفق بالكتابة بشكل مستمر طيلة الليل والنهار ثم لليلة أخرى ولنهار آخر لأن هناك ثروة كافية. فإذا فعلت هذا فإنني سأموت. إنني لا أنجز إلا القليل ويكون هناك خطر على حياتي. ثم عندما أتعلم الطاعة أنجز عملي كأنه واجب صارم فأمسك بقلمي وأكتب كل حرف بعناية ثم أكون على ما يرام. ومرات عديدة للغاية كنت أجد في هذا بهجة أكثر عما في الفكر الذي أنتجه في علاقة خضوع لله".

وهو يقول في موضع آخر إن الأفكار كانت تتدفق عليه

Twitter: @ketab_n

كالثمار المتساقطة في حديقة تصورها قصص الجنيات وكانت الأفكار ثرّة وحارة وقلبية وأن التعبير عن أفكاره كان يبحث فيه عن الحاجة إلى تقديم الشكر ويهديء اشتياقه الحار: "لقد كان يخيل لي أنني أملك قلماً مجنحاً، أجل، وحتى لو كانت لدى عشرة أقلام فإنني لن أتمكن من ملاحقة الثروات المتدفقة" وهذه الأقوال وغيرها مفهومة ومبررة تماماً. فإذا استبعدنا نيتشه وخاصة عندما كتب مؤلفه "هكذا تكلم زرادشت" فإننا لن نجد مثالا في تاريخ الفلسفة يشير إلى الفكر والخيال الملهمين أكثر من كيركجور.

وتعد الكتابات المجهولة المؤلف أعظم وأقيم إنجاز لسورين كيركجور، فهنا نجد الفلسفة والفن واللاهوت متحدة بشكل ليس له مثيل من قبل. وتبدو هذه الأعمال وكأنها تدفق دائم للثروة من عقل لا ينفد. إنه عقل فريد ومنفعل يجد تعبيرات مميزة عديدة. وفي هذه الكتابات يبعث كيركجور أقوى المشاعر والذكاء الكلي وأهدأ المشاعر ككل أو أدق تهكم. وإن تخيله إنما يتحرك بالتأكيد من خلال غنائية صافية بمثل ما يتحرك عبر أحلك دهاليز العقل وأكثرها ابتعاثاً لليأس. وكل عبارة تحمل الطابع الأسلوبي لشخصيته. إنه لا يشبه أي كاتب آخر، إن له لغته، إنها لغة كيركجور.

ومع هذا فإن المؤلفات المجهولة ليست هي كل كتابات كيركجور خلال السنوات الممتدة من ١٨٤٢ إلى ١٨٤٦ فبعد أن كتب "إما .... أو" بفترة وجيزة نشر "مقالان جليّان" وكان سيظهر له بنفس الطريقة مقالان جليان أو ثلاثة أو أربعة أحياناً في كل مرة ينشر عملاً مجهولاً. وفي عام ١٨٤٥ نشرت هذه المقالات كمجموعة بعنوان "ثماني عشرة مقالة جلية". وهذه المقالات - على عكس المؤلفات المجهولة - تحمل اسم سورين كيركجور وهي دائماً مهداة

Twitter: @ketab_n

إلى والده على النحو التالي: "إلى الراحل ميخائيل بدرسن كيركجور، العلم السابق في هذه المدينة، إنما تهدي هذه المقالات".

وكيركجارد بوضعه اسمه على هذه القطع يريد أن ينقل إلينا أنه يأخذ على عاتقه المسؤولية الشخصية لمحتوياتها بما فيها من وجهة نظر مسيحية تجاه الحياة، على حين أنه ليس معنياً إلا بالأسلوب الأدبي للأفكار الواردة في المؤلفات المجهولة.

Twitter: @ketab_n

6

المراحل الكبرى الثلاث

إن كيركجور يتخذ تفرقة مماثلة بين أنماط ثلاثة من وجهات النظر: الجمالية والأخلاقية والدينية. إن كيركجور لا يفهم تعبير "فلسفة الحياة" مجرد أن يكون لدى الإنسان رأي عنها بل يفهم بها أيضاً أن الإنسان يعيشها ويحققها. ووجهات النظر الثلاث في الحياة هي طرق مختلفة ثلاثة للحياة، إنها مراحل مختلفة ثلاث بها أن تعاش الحياة ولهذا فإنه يحددها على أنها مراحل حياة أو "مجالات الوجود".

بالنسبة للجماليين تعد اللذة هي الهدف من الحياة. إنهم يعيشون من أجل اللحظة الراهنة ويبحثون عن المتعة الشديدة. وفي هذه المرحلة يجب أن يتسلحوا ضد كل شيء يكون إلزامياً وضاغطاً. إن عليهم أن يطفوا فوق أكثر علاقات الحياة جدية وألا ينخرطوا فيها. فمثلاً، يجب أن يتسلحوا ضد وضع دائم في الحياة وضد الزواج. إن كل تكرار يبلد الشعور ومن ثم يقوّض اللذة. ولهذا فإن الجمالي يبحث عن التغيير الدائم وكلما كانت نظرته لأحداث الحياة أكثر تعسفاً كان هذا للأفضل. إن الجمالي لا يلمس إلا سطح الحياة وفي محيط الحياة الهامشي هذا تكمن لذته. قد يكون

Twitter: @ketab_n

هناك قدر معين من الوظائف المتباينة أجل، ولكن ليس عملاً حقيقياً، معارف سطحية حقاً نعم، ولكن لا صداقات، حباً سطحياً نعم ولكن محبة عميقة لا. قد تختلف اللذات التي يسعى إليها الجمالي مما هو خشن ومادي إلى ما هو مشذب وروحاني. وهكذا هناك أنماط مختلفة من الناس الجماليين، لكن اللذة كهدف للحياة مسألة مشتركة بينهم جميعاً. والنمط الذي وضعه كيركجور بشكل رائع هو نمط دون جوان ذي الثقافة العالية والنزعة الجمالية. فبالنسبة لهذا النوع من الأشخاص تكون أعلى الأشياء في الحياة هي المتعلقة باللذة الشبقية والجمالية والمرحة في أشكالها المشذبة. وبجانب هذا النمط الذي يجسده شخص يسمى جوهانز المغتصب، رسم كيركجور خطوطاً عريضة لأنماط جمالية أخرى.

وبالنسبة للإنسان الأخلاقي يكون معنى الحياة هو العيش بمقتضى المسؤولية والواجب. ولنعبر عن المسألة بشكل آخر فنقول: الحياة لا يكون لها معنى بالنسبة لهم إلا عندما يتقبلون المسؤولية والواجب. إن لديهم شعوراً بالرسالة في الحياة. لهذا فإن النمط الأخلاقي له "مهمته التي هي أشبه برسالة في الحياة" (الموقف في الحياة) ومكانته في المجتمع. وتجد علاقته بالمرأة تعبيراً عنها في الزواج بما يترتب عليه من التزامات. وهذا النمط لا يسعى إلى تجنب التكرار بل بالعكس، إنه (يريد) التكرار وهو يعتبر أن ما قد يُفقد من الحدة بسبب التكرار يكتسب بالصميمية بنفس الطريقة التي يكتسب بها بالتكرار تماماً. وعلى حين أن الجمالي يعيش دائماً وهو ابن اللحظة يعيش الأخلاقي في الزمن بمعنى أن حياته لها استمرار تاريخي ويكمن العامل الحاسم في (اختياره) أن يعيش حياته تحت سيادة مقولتي الخير والشر ومقولات الأخلاق، على حين يظل الجمالي خارجها ولا يسمح لنفسه أن تسترشد إلا بالمقولات الجمالية مثل اللذة والضرر والجمال والقبح والمصلحة والعبء

Twitter: @ketab_n

والاهتمام وعدم الاكتراث. وأكبر وصف تفصيلي يقدمه كيركجور للمرحلة الأخلاقية وارد في تصويره للقاضي ولهلم.

وبالنسبة للرجل المتدين نجد أن علاقته بالله هي أعمق شيء في حياته. وهذه الحياة الأرضية حياة الزمانية لا تنال أرضيتها الحقة وعمقها ما لم ترتبط بالله والحياة الخالدة. وما يهم هنا هو مباركة الفرد في الحياة الخالدة والأمل في الأبدية. الإخلاص في العلاقة مع الله هي العامل الحاسم. والإيمان الحق هو الإيمان الحار. وعلى حين أن الجمالي يعيش في اللحظة، ورجل الأخلاق يعيش في الزمن، يعيش رجل الدين في هذه العلاقة الآملة مع الأبدية. إن وجهة النظر الإنسانية الوحيدة وهي وجهة النظر الأخلاقية ليست كافية بالنسبة له. وأكبر ممثل للمرحلة الدينية عند كيركجور هو شخصية جوهانز كليماكوس.

لقد أكد كيركجور بشدة أن المراحل الثلاث مختلفة اختلافاً شاسعاً. إنها تخص طرقاً ثلاثة مختلفة تماماً للحياة لها جوانب مختلفة للغاية. ولا يمكن الانتقال من مرحلة إلى أخرى إلا عن طريق (الوثبة) كنظرة جديدة للحياة عندما تختارها الشخصية بتمامها. إن رجل الجمال لا يمكن أن يصبح رجل الأخلاق بدون وثبة تغير من نظرته الكلية للحياة، ورجل الأخلاق لا يمكن أن يصبح رجلا متديناً بدون وثبة. وهكذا بالرغم من أن المراحل متمايزة بشدة إلا أن كيركجور يذكر "مرحلتين انتقاليتين" بين المراحل الثلاث الرئيسية. وهاتان المرحلتان هما التهكمية والفكهة. إن المرحلة التهكمية هي المرحلة الانتقالية من المرحلة الجمالية إلى المرحلة الأخلاقية. والمرحلة الفكهة هي المرحلة الانتقالية من الحالة الأخلاقية إلى الحالة الدينية. وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن كيركجور اعتبر المراحل

Twitter: @ketab_n

الثلاث (أو الخمس) هي مراحل نمو في تطور الشخصية. وفي تلك الحالة ستكون هناك النتيجة المترتبة التالية: هناك المرحلة الجمالية، والمرحلة التهكمية، والمرحلة الأخلاقية، والمرحلة الفكهية والمرحلة الدينية.

ولنحاول أن نبرز هذا بمثال تخيلي: شاب يجد مكانته في الحياة. وربما يبدأ كرجل جمالي. وهذا نمطي للشباب: إن هدف الحياة هو بكل بساطة الابتهاج في الوجود. ويؤكد كيركجور في بعض الفقرات أن الطفل هو "طفل جمالي". وهو دون إرادة منه يتبع رغبته ويبحث عن رغبته. وعاجلاً أو آجلاً سرعان ما ينتاب الشخص الذي يكرس حياته تماماً للذة الهم واليأس. فالشاب الصغير الخيالي يشب غير راض عن حياته ويتبين خواءها. وقد يحدث أن يظل في الدور الجمالي لبعض الوقت عندما يكون بين أصدقائه ومعارفه من أصحاب النزعة الجمالية الآخرين. ولكن في أعماق عقله تكون نظرته تجاه نزعته الجمالية تهكمية. وهكذا يجد نفسه في المرحلة الانتقالية بين الجمالي والأخلاقي. ولنفترض أنه "يختار ما هو أخلاقي". إنه يجد الآن هدفا ومعنى للحياة في أن يعيش كعضو في المجتمع، كرجل الواجب المسؤول عن أفعاله وفق معيار الخير والشر. والآن، إنه يجد هدف الحياة ومعناها في التطور الأخلاقي للشخصية وفي الحياة الاجتماعية والأسرية. ولكن هل هذا هو الهدف النهائي للحياة ؟ ربما في يوم ما سيبدأ في الابتسام بخفة على الإنسان الأخلاقي المتحمس الذي يعتبر هذه الحياة الزمانية وواجباتها ومسؤولياتها على أنها الحياة الوحيدة. ثم يصبح معتاداً على أسى الحياة. وهو يبدأ يشعر بأن الحياة الأخلاقية ربما يجب النظر إليها ضد أرضية من الأبدية في إطار حياة أخرى سوف تأتي. وهكذا يكتشف في نفسه في المرحلة الانتقالية الفكهة التي تبحث عن قهر متاعب الحياة بالفكاهة. وهكذا كما أن المتهكم يتمسك

Twitter: @ketab_n

بموقف تهكمي تجاه النزعة الجمالية التي كان يعتنقها حتى ذياك الوقت والتي لم ينفصل عنها بعد انفصالاً تاماً، فكذلك نجد أن المتهكم يتخذ موقفاً فكهاً تجاه النظرة الأخلاقية للحياة عندما يظن أنها ذروة الأمور. إنه إذن في طريقه إلى المرحلة الدينية التي لا تجد المعنى النهائي في الحياة إلا ضد أرضية من الأبدية. وهكذا فإن الفرد يتحرك عن طريق "الوثبات" عبر المراحل المدرجة من الجمالية إلى الدينية. وعلى أي حال، يقرر كيركجور بوضوح أنه لا توجد ضرورة لمثل هذا التطور سواء من الناحية النفسية أو المنطقية. وإن بعض الناس يظلون جماليين طوال حياتهم وآخرون يظلون أخلاقيين وهكذا.

إن القارئ قد يجمع من هذا العرض الموجز أن مراحل كيركجور الثلاث يمكن مقارنتها بشكل أو بآخر بالأبيقورية والرواقية والمسيحية. وكيركجارد - مثل باسكال - يستمد كلامه من وجهات النظر الثلاث هذه للحياة. وهو يقول أيضاً في "تفسير أولي وأخير" حيث يعترف بتأليفه للكتب المجهولة كلها، إن المؤلفات لم تطرح أي اقتراح جديد وأي اكتشاف لم يسمع عنه قبل وأنه لم تكن لديه نية لإنشاء (حزب) جديد أو (التقدم) بل كل ما هنالك أنه أراد أن "يقرأ من جديد الكتابات الأصلية للظروف الفردية للوجود الإنساني القديمة والمألوفة وقد انحدرت إلينا من آبائنا وإذا أمكن بمزيد من التكثيف". وهذا صحيح أساساً. ولكن يجب أن نضيف أن الكلمات متواضعة للغاية. وفي حالة كيركجور ليست المسألة مجرد مزيد من القراءة النفاذة لما هو قديم ومتوارث بل التحليلات الأعمق بشكل لم يسبق إليها مثيل لما هو جمالي وكذلك ما هو أخلاقي وديني، وكذلك إضفاء طابع متماسك على ما تم تحليله كما جرى التعبير عنه لدى الأفراد الرائعين. ويمكننا أن نتبين مدى أصالة أعماله وعمقها إذا تأملنا في تصوره للمسيحية وكان

Twitter: @ketab_n

هذا التصور مصدراً من المصادر الأساسية التي استلهمتها نزعة بارث المسيحية وإن تصوره (للتفكير الوجودي) يعد أساسياً بالنسبة (لوجودية) زماننا.

Twitter: @ketab_n

7

إما . . . أو

يعد كتاب "إما .... أو" الذي كتبه عام ١٨٤٣ حجر الزاوية في بناء فلسفته عن مراحل الحياة. وقد يبدو للقارئ الحديث أن الكثير مما في الكتاب غريباً بل عفى عليه الزمن. وليس هذا صادقاً فحسب فيما يتعلق بالفلسفة التأملية بل هو صادق أيضاً على الأرضية الاجتماعية للحياة، والعالم الاجتماعي الذي هو أساس الكتاب قد تغير في طابعه تغيراً كبيراً على الأقل بالنسبة لمكانة المرأة في البيت وفي المجتمع. ولكن بالرغم من هذه التغيرات فإن هذا العمل الخلاق لا يزال آسراً في روعته الفريدة ومعرفته العميقة بالحياة وفنه المميز وثرائه الانفعالي الكبير. وهو أقيم مؤلف نثري عن فلسفة الحياة في الحقبة المتأخرة من الحركة الرومانتية.

إن الكتاب ينقسم إلى جزئين. في الجزء الأول نجد شخصين جماليين يعبران عن نفسيهما. الأول ليس له اسم حقيقي بل يشار إليه بأنه الشخص الجمالي(أ) والشخص الثاني هو جوهانز المغتصب. وهما من النوع الجمالي لكن لهما طبيعتين ومزاجين مختلفان اختلافاً تاماً وكل منهما يمارس بطريقته وجهة نظره الجمالية في الحياة. وفي

Twitter: @ketab_n

الجزء الثاني نجد نقداً يوجهه القاضي ولهلم ضد النظرة الجمالية للحياة. إنه صديق أكبر قليلاً للشاب الجمالي(أ) وهو على علم بوجهات نظر الشخص الآخر. وهو يشرح في دراستين طويلتين على شكل رسالتين آراءه الأخلاقية، أو بالأحرى الأخلاقية الدينية في الحياة لصديقه الشاب وهو يسعى إلى أن يحوله عن نزعته الجمالية التي تعد في نظر القاضي مفضية إلى اليأس. وعنوان الكتاب جاء على لسان القاضي الذي يذهب إلى أن هناك اختياراً محدداً. (إما) ما هو جمالي (أو) ما هو أخلاقي. غير أن الكتاب ينتهي (بنذير) لم يكتبه القاضي بل كتبه صديق أكبر له وهو كاهن في جوتلاند. وهذا يدل بإيجاز شديد على أنه لا تزال هناك نظرة ثالثة للحياة هي النظرة الدينية الخالصة، غير أن كيركجور لا يتناول هذه النقطة هنا بل يتناولها في الكتب التالية.

إن الشخص الجمالي(أ) هو شاب رغم شبابه قد ضاق ذرعاً بالحياة، فالسوداوية واليأس ماثلان تحت سطح الحالة التافهة والمرحة. وينتابه شعور بالقلق وتراوده أفكار الانتحار. والمستقبل يبدو خاوياً وبلا معنى بالنسبة له. وهو يحتقر الحياة العادية التقليدية احتقاراً تاماً. وحياة عصره بائسة لأنها حياة بلا انفعال أو عاطفة. ومادة القراءة المحببة لديه هي العهد القديم وشكسبير. ولكنه أحياناً ما يعيش لحظات شعرية من الجمال تتخللها غنائية. إن الشخص الجمالي(أ) هو شخص (رومانتي) قطعاً وهو يمثل فكاهة الكآبة بين أرستقراطية عصره المثقفة وهو إلى حد بعيد يمثل نمطاً أدبياً. ولكن يوجد بالإضافة إلى هذا علاقة واضحة بين الشخص الجمالي(أ) وخصائص معينة عند كيركجور الشاب. ويكاد يكون كل شيء كتبه الشاب الجمالي(أ) إشارة مباشرة أو غير مباشرة لحياة كيركجور الشخصية إبان سنوات شبابه. وربما نتبين هذا في جانب

Twitter: @ketab_n

منه من الشذرات والحكم التي تكون من العنوان "مدخل" الجزء الأول من الكتاب. وهي تكاد تقوم في غالبيتها على مداخل خاصة للغاية في يومياته عن سنوات ١٨٣٥ - ١٨٣٩ أي يومياته عندما كان في الثالثة والعشرين إلى السادسة والعشرين وفيما يلي بعض الأمثلة:

"وكما تقول الأسطورة فقد بارفينسكوس القدرة على الضحك عندما كان في كهف تروفونيوس، لكنه استردها عند ديلوس لمرأى كتلة هلامية تمثلت في صورة الربة (ليتو). وهذا هو ما حدث لي. عندما كنت شاباً للغاية وأنا في كهف تروفونسيوس نسيت كيف أضحك، وعندما شببت عن الطوق وأنا أتطلع إلى الواقع بدأت أضحك ومنذ ذياك الوقت لم أتوقف. لقد رأيت أن معنى الحياة هو الحصول على معيشة وإن هدفها هو إحراز مكانة عالية، وإن أغنى بهجة هي الحصول على فتاة غنية، وأن مساعدة آخر في المتاعب المالية هي فرح الصداقة، وأن ما تقبله الأغلبية كحكمة هو على هذا النحو، وأن إلقاء خطبة هو حماسة والشيء الرائع أن تُمنح مصروفاً عشرة شلنات، وأن من الأشياء الودودة أن تبدي شكرك لغدوة، وأن من التقوى أن تتلقى عشاء مشتركاً مرة في العام. لقد رأيت كل هذا وضحكت.

* * *

"لندع الآخرين يشتكون من هذا العصر الذي هو عصر الشر، إنني أشكو لأنه عصر تعس، لأنه عصر بلا عاطفة. وأفكار الناس نحيلة وهشة كرباط الحذاء وهم أنفسهم تافهون تفاهة صناع أربطة الأحذية. إن أفكار قلوبهم تافهة حتى أنه لا يمكن وصفها بالإثم. بل ربما يكون من الإثم أن تعتنق دودة مثل هذه الأفكار فما بالك بإنسان خُلق على غرار صورة الله. أن شبقهم آسن وراكد وعواطفهم هاجعة،

Twitter: @ketab_n

ومع هذا فهم يشبهون اليهود في أنهم يسمحون لأنفسهم بأن يعضوا على قطعة العملة النقدية بأسنانهم، إنهم يظنون أنهم حتى لو حافظ الرب على قوانينه بدقة فإنهم يستطيعون أن ينطلقوا وهم يخدعونه قليلاً. عار عليهم! ولهذا فإن عقلي يرتد ثانية إلى العهد القديم وإلى شكسبير. هناك تستطيع أن تشعر بأن الشعب يتكلم، هناك شعب يكره والشعب يحب ويقبل عدوه ويلعن نسله عبر جميع الأجيال وهناك الشعب يأثم.

* * *

"كم هي الحياة فارغة وبلا معنى. - الإنسان يدفن شخصاً ما، إنه يتبعه حتى القبر، وهو يلقي ثلاث حفنات من التراب عليه، وهو يركب إلى هناك عربة، ويعود إلى بيته راكباً عربة، وهو يعزي نفسه بأن حياة طويلة تنتظره. فكم طول ثلاث سنوات جارحة وعشر؟ لماذا لا يتخلص منها الإنسان في التو؟ لماذا لا يقيم الإنسان هناك ويهبط إلى القبر بالمثل ويسحب القرعة لهذا الذي سيكون لسوء حظه آخر الأحياء ويلقي بآخر ثلاث حفنات من الأرض على آخر الموتى؟

* * *

"المسنون يدركون أحلام الشباب، ونحن نتبين هذا عند سويفت، لقد بنى في شبابه مصحة للمجانين وفي الشيخوخة دخلها هو نفسه.

* * *

"هناك مناسبات معينة تعطي للإنسان شعوراً بالأسى الكامل لمرأى إنسان وحيد تماماً في العالم. وكما حدث لي مؤخراً عندما رأيت فتاة فقيرة تسير بهدوء إلى الكنيسة

Twitter: @ketab_n

حتى يتصدقوا عليها.

* * *

"إن نفسي مثقلة حتى أنه ما من فكرة بقادرة على تعزيتها، ما من خفقة مجنحة يمكن أن ترفعها إلى الأثير، وإذا ما تحركت على الإطلاق فإنها تلتصق بالأرض مثل الطيران المخفض للطيور عندما تهددها العاصفة الرعدية. وفوق وجودي الداخلي يحلق يأس وقلق يحدثان داخلها زلزالاً.

* * *

"وما الذي سيحدث؟ وما الذي سيحمله المستقبل؟ أنا لا أعرف، ليست لدي أدنى فكرة، فعندما يندفع عنكبوت من نقطة ثابتة إلى النتائج المترتبة على اندفاعه فإنه يرى أمامه فراغاً خالياً حيث لا يتبين أثراً ولا يهم ما قد يتخبط فيه. وهكذا الحال معي، أمامي دائماً الفراغ الخالي، والذي يدفعني هو النتيجة القائمة ورائي. إن هذه الحياة مقلوبة رأساً على عقب ومخيفة ولا يمكن لإنسان أن يطيقها.

* * *

"وهكذا أنا لست سيد حياتي، إنني لست إلا خيطاً يتناسج في قماش الحياة! حسناً جداً، حتى لو لم أستطع أن أغزل فإنني أستطيع على الأقل أن أقطع الخيط.

* * *

"لا توجد فترة عجيبة في الحياة مثل أيام الحب الأولى عندما يحمل المرء مع كل لقاء وكل نظرة مختلسة شيئاً جديداً للبيت ليبتهج به.

* * *

Twitter: @ketab_n

"حيث لا تستطيع أشعة الشمس أن تنفذ فإن صوت الموسيقى يستطيع أن ينفذ. إن غرفتي مظلمة وكئيبة، وهناك جدار عال يكاد يحجب ضوء النهار. لابد أنه يوجد في الفناء المجاور موسيقى جوّال. أي آلة هذه؟ هل هي ناي؟ ... ما الذي أسمعه؟ - الموسيقى الهادئة من دون جوان! ثم تحلق بي بعيداً على النغمات القوية والعنيفة حيث جوقة البنات إلى فرح الرقصة! - إن الكيميائي يدق هاونه والفتاة تقلب الوعاء وصبي الإسطبل يمشط حصانه وينفض التراب عن المشط على الحصى، إن هذه النغمات من أجلي فقط، إنها لا تغري أحداً عداي. أواه، مهما تكن أنت فلك تشكراتي!! إن نفسي غنية وقوية وغارقة للغاية في الفرح. إن الشمس تسطع بجمال وبمرح في غرفتي للغاية، والنافذة في الغرفة المجاورة مفتوحة، وفي الشارع كل شيء ساكن، فالوقت بعد الظهر في يوم الأحد، وأستطيع أن أسمع بوضوح قبرة ترتعش خارج النافذة من أحد البيوت الملحقة، خارج النافذة حيث تعيش الفتاة العاشقة، وفي البعيد في شارع ناء أستطيع أن أسمع بائعاً جوالاً ينادي على سلعه، إن الجو دافئ للغاية ومع هذا فإن المدينة كلها تبدو مهجورة - وحينئذ تذكرت شبابي وحبي الأول - عندما اشتقت، الآن لا أشتاق! لا لاشتياقي الأول. وما هو الشباب؟ حلم. ما هو الحب؟ إنه ليس إلا محتويات الحلم".

* * *

واضح أن الجمالي(أ) معجب إعجاباً شديداً بدون جوان لموزار وهو يعطي تعبيراً روحياً عن هذا الإعجاب في بحثه عن "المراحل الغرامية المباشرة أو الموسيقية". وسورين كيركجور يفرق تفرقة سيكولوجية بين نمطين مختلفين للمغتصب، وهو يسميها المغتصب التلقائي

Twitter: @ketab_n

والمغتصب المتأمل. والأخير هو مغتصب بالمعنى الحقيقي للمصطلح. وهو يشق طريقه بمكر ودهاء في قلب فتاة شابة إلى أنه يكتسب التسيد عليها، وهو - وفق خطاطية محددة - يغتصبها، ولا يقوم أي من لذته في استمتاعه الشيطاني في الخداع، في المكر نفسه. إن المغتصب التلقائي ليست له خطة منظمة، إنه يغتصب، أو يحدث له أن يغتصب بفضل طبيعته، بفضل غريزته الحسية، بفضل حيويته، وإن لذته هي لذة امتلاك. مثل هذا المغتصب التلقائي هو دون جوان عند موزار. وهو لا يمكن تجسيده حقاً إلا بشكل موسيقى.

"إن طريقته في الخداع هي عبقرية النزعة الحسية، التي يعد هو تجسيداً لها، وإن حياته تتألق مثل النبيذ الذي يقويه، إن حياته تثار إثارة عميقة مثل الموسيقى التي تكون مصاحبة لأعياده المرحة، إنه منتصر دائماً. إنه لا يحتاج إلى استعداد، ولا إلى خطط ولا إلى وقت، لأنه مستعد دائماً، لأن القوة موجودة دائماً فيه وكذلك الرغبة وكل ما يحدث هو أنه عندما يرغب يكون في أقصى جوهره. وهو يجلس أمام المنضدة، وهو مرح متشبه بإله يملأ كأسه بالنبيذ - إنه ينهض والمنشفة في يده مستعداً للهجوم. وإذا حدث وأيقظه لوبوريللو في منتصف الليل فإنه ينهض وهو متأكد من انتصاره. غير أن هذه القوة، هذه الطاقة لا يمكن التعبير عنها في كلمات، كل ما هنالك هو أن الموسيقى يمكن أن تعطينا فكرة عن ذلك، لأنه مما لا يمكن التعبير عنه في الفكر والتأمل. إن مكر المغتصب التأملي يمكن أن أعبر عنه بوضوح بكلمات والموسيقى لا تستطيع إطلاقاً أن تعبر عن هذه المهمة. والعكس في حالة دون جوان. فأي قوة هذه؟ ولا يستطيع إنسان أن يقول، حتى لو سألت زرلين عنها قبل أن تتوجه للمرقص، .. ما هي هذه القوة التي تربطك بها؟ فإنها لا تستطيع إلا أن تجيب بقولها: لا يستطيع أحد أن يرد، ويجب على أن أقول: "حسناً، لقد

Twitter: @ketab_n

قالت طفلتي!" أنت تتكلم بحكمة أشد من الحكماء الهنود ولسوء الحظ لا أستطيع أنا أيضاً أن أرد".

إن الجمالي(أ) لا يستطيع أن يصدر حكماً أخلاقياً على دون جوان. فليس هذا من شيمه لأنه يمثل النظرة الجمالية للحياة، والتي هي بالمصطلح الحديث بمعزل عن الأخلاق ومقولته الأساسية هي: اللذة. إن من خصائص كيركجور أن يفرق تفرقة حادة بين (مجالات الوجود). إن كيركجور يستطيع أن يضع الكلمات على لسان الجمالي المطلق(أ) الذي له تأثير حسي ومتحد على معاصريه المتوسطي القدرة، والوضع وليس لأن الكلمات قد كتبها لاهوتي. ولنأخذ هذه الكلمات على سبيل المثال: "ليس دون جوان ناجحاً مع الفتيات فحسب، بل هو يجعلهن أيضاً سعيدات و- تعسات، ولكن من الغريب أن هذا هو ما يحببنه وستكون الفتاة فتاة سيئة إذا أرادت أن تكون تعسة بعد أن كانت سعيدة مع دون جوان". كيف يمكن للجمالي(أ) أن يكتب هذا؟ أليس القول (فتاة سيئة) حكماً أخلاقياً؟ على هذا التساؤل لابد للجمالي(أ) أن يرد: كلا، إنه مجرد حكم (جمالي). فلما كان هناك افتراض يذهب إلى أن اللذة هي هدف الحياة فإن من المفروض أن تكون الفتاة (فتاة سيئة) إذا لم تكن لديها مثل هذه الرغبات. ومن الضروري دائماً ونحن نقرأ كيركجور أن نضع في اعتبارنا (مَنْ) الذي يتكلم وأن نستدعي (النقطة المحورية) التي يذهب إليها المتكلم).

في التحليل البارع الذي يقوم به الجمالي(أ) لدون جوان عند موزار يمكننا أن نلاحظ مرة وأخرى - مع هذا - بشكل غير مباشر تقريباً أن الحكم الجمالي لدون جوان ليس هو الحكم الممكن الوحيد، بل ينتظره حكم أخلاقي وحكم ديني وهما حكمان يصدرهما عليه الآخرون. وكما هو معروف

Twitter: @ketab_n

تماماً، يحدث هذا بالفعل في نهاية الأوبرا. فمن الخصائص المميزة لكيركجارد أنه يعزو (قلقاً جوهرياً) لدون جوان. وفي التحليل البارع لافتتاحية دون جوان حيث يشار إلى قوة دون جوان تقارن الموسيقى مع العاصفة الرعدية المتجمعة مع البرق الذي يسطع في ظلام الأفق البعيد.

"وكما أن العين تستشرف بفضل هذا الوميض الأول للإضاءة فكذلك الأذن تستشرف بفضل هذه الطرقة التي تموت والخاصة بقوس العواطف كلها. ويوجد قلق في تلك الومضة، ويبدو الأمر كما لو أن الظلام العميق قد تولد في القلق - وأحياناً دون جوان يشبه هذا الأمر. هناك قلق في داخله، لكن في هذا القلق تكمن طاقته. لا يوجد في الافتتاحية ما يقال عادة عن جهل بوجود اليأس. إن الحياة ليست يأساً، لكنها القوة الشاملة للنزعة الحسية التي تتولد في القلق، ودون جوان نفسه هو هذا القلق، لكن هذا القلق نفسه هو الشهوة الشيطانية للحياة. وعندما أبدع موزار دون جوان تنكشف حياته لنا في النغمات الراقصة للكمان، حيث يعبر برقة ورهافة على هاوية، والأمر أشبه بحجر يلقى ويمس سطح الماء حتى يظن لوهلة أن الحجر يتواثب مع القفزات على حين أن الحجر بمجرد أن يكف عن الوثوب يغوص في الأعماق، وهو بالمثل يرقص فوق الهاوية وهو مبتهج في وثبته القصيرة".

والدراسات التي يأخذ بها الجمالي(أ) والتي تعقب هذا تتألف من خمس دراسات ولها محتويات مختلفة بالرغم من أنها جميعاً مرتبطة بالنظرة الجمالية للحياة. ولن نشير هنا إلا إلى (المناوبة بين المحاصيل الزراعية) حيث أكبر عرض مكثف لوجهة النظر الجمالية للحياة وقد وصلت إلى ذروتها المنطقية وترد في شكل موجز دقيق. فالجمالي(أ) يفترض أن "من قدر البشرية أن تبهجه" ولهذا يوصي

Twitter: @ketab_n

بالطريقة الزراعية الخاصة بتعاقب المحاصيل الزراعية وهي طريقة خاصة بعدم تغيير التربة بل تقوم على استبدال طريقة الزراعة وأنواع البذور. والشيء الجوهري هو القدرة على التعامل مع الوجود كله وعدم الغرق في أي من العلاقات مع الحياة سواء كانت صداقة أو زواجاً أو مهنة محددة. والمسألة مسألة الاحتفاظ بحالة طافية زئبقية كلية. إنها مسألة تغيير الإنسان لذاته دائماً. والسر كله يكمن في التعسف. فكلما كان الإنسان أكثر قدرة على الاختراع في تنويع طرق الزراعة كان هذا للأفضل. وإلا انتهي كل شيء إلى سأم التكرار.

Twitter: @ketab_n

8

مذكرات مغوي الفتيات

الجزء الأول من كتاب (إما .. أو) ينتهي (بمذكرات مغوي البنات). وقد أثار هذا انتباهاً شديداً وفضيحة كبرى في كوبنهاجن في ذلك الوقت بسبب جرأة الأفكار والأوصاف الشبقية. ولقد نشر هذا الكتاب مفصلاً في الترجمات للغات الأوروبية باعتباره جزءاً من الأدب المكشوف. ولكنه بالإضافة إلى هذا هو قطعة آسرة من السيكولوجيا بصرف النظر عن التعبير بالأسلوب المعتاد. والكتاب نشر باعتباره من تأليف جوهانز وهو اسم مغوي البنات. وعلى حين أن الجمالي(أ) شخصية سوداوية يبحث في يأسه عن المتعة دون أن تكون لديه القابلية الحقيقية للاستحواذ عليها، نجد جوهانز رجلاً عارماً ممتلئاً باللذة. وهو بنزعة السخرية الوقحة يقتفي آثار دون جوان غير أنه يمثل مغوي البنات (المتأمل) والذي يغوي وفق خطة محددة.

يلاحظ جوهانز في الطريق فتاة شابة تثير انتباهه، فيتقصي المعلومات عن أسرتها وبهذا يجد استهلالاً. واسم الفتاة هو كورديليا وهي على وشك أن تُخطب لإدوارد الذي يظهر أنه إنسان ساذج. وينجح جوهانز في أن يجعل

Twitter: @ketab_n

من إدوارد أضحوكة في نظر كورديليا وسرعان ما تخطب لجوهانز. لكن لم يكن هذا إلا مناورة من جانبه، فهو باعتباره شخصاً جمالياً ودون جواناً حقيقياً لا يريد الفتاة بهذه الطريقة المعتادة التقليدية، وهو ينجح في أن يجعل كورديليا تسأم مسألة الخطوبة حتى أنها تفض الخطبة. وإلى هذه اللحظة يكون قد أحكم الحصار حولها حقاً "حتى يمتلكها في حريتها". وهو ينجح نجاحاً باهراً وتستثيرها حركاته فتستسلم له. وفي اليوم الذي يعقب ليلتهما الأولى، يتركها وهو عازم على ألا يراها بعد هذا إطلاقاً.

وقد يلوح لقاريء اليوم أن (مذكرات مغوي البنات) كتاب مليء بالاطناب، لكن هناك عاطفة فريدة وراء القصة التي ترقى أحياناً إلى مستوى الشعر الأصيل. ومن بين أجمل ما فيه المذكرات التي أرسلها جوهانز إلى كورديليا ليجعلها تقلق من الخطوبة وتوقظ فيها الرغبة في الحب المتحرر.

"عزيزتي كورديليا! إن الحب يحب السرية - والخطوبة مسألة علنية، إن الحب يحب الصمت - والخطوبة إعلان، الحب يحب الهمس - والخطوبة دوي مرتفع الرنين، ومع هذا فبظن كورديليا تكون الخطوبة هي أفضل وسيلة حقيقية لخداع العودة. ففي جنح الظلام ليس هناك شيء أكثر خطورة بالنسبة للسفن الأخرى أكثر من تعليق مصباح يكون أكثر خداعاً من الظلام. حبيبك جوهانز".

* * *

"عزيزتي كورديليا! هناك مركبة صغيرة تقف عند الباب هي بالنسبة لي أوسع من العالم كله لأنها واسعة حتى أنها تتسع لاثنين، وهي مشدودة إلى جوادين متوحشين لا جامح لهما كقوى الطبيعة

Twitter: @ketab_n

غير صبورين كعواطفي وجريئين كأفكارك. فإذا رغبت فسوف أحملك بعيداً. عزيزتي كورديليا! هل تأمرينني؟ إن أمرك هو الكلمة التي تطلق الأصفاد وفرح الانطلاق. سوف أحملك بعيداً لا من بين جماعة من الناس إلى جماعة أخرى، بل سأحملك إلى خارج العالم. إن الجوادين يشبان على قوائمهما والعربة ترتفع ويكاد الجوادان يمران فوق رأسينا، إننا نصاعد في السماء عبر السحب، والريح تصفر من حولنا، فهل لا نزال واقفين والعالم يتحرك من حولنا، أم أن هذا هو هربنا الكبير؟ لو كنت طائشة ياعزيزتي كورديليا إذن أوقفيني فلن أكون طائشاً. لا يكون الإنسان طائشاً على الإطلاق عندما لا يفكر الإنسان إلا في شيء واحد، وأنا لا أفكر إلا فيك، هذا من الناحية العقلية أما من الناحية المادية لا يكون الإنسان طائشاً على الإطلاق عندما يثبت أنظاره على هدف واحد، وأنا لا أتطلع إلا إليك. تمسكي بي بشدة، فلو اختفى العالم، ولو اختفت عربتنا الطائرة من تحتنا فسوف نظل متعانقين ونحن نحلق في تناغم أثيري. حبيبك جوهانز".

* * *

"عزيزتي كورديليا أيمكنك أن تقرئي في قصص الجنيات القديمة أن أحد الأنهار وقع في غرام فتاة. وهكذا روحي مثل النهر الذي يحبك. إنها الآن هادئة وصورتك منطبعة بعمق وهدوء على صفحتها وهي تتخيل الآن أنها استولت على صورتك وأمواجها تصطخب لتمنعك من الهرب ثانية، والآن إن سطحها يتماوج بنعومة ويلعب مع صورتك وأحياناً ما يفقدها وحينئذ تصبح الأمواج

Twitter: @ketab_n

سوداء ويائسة. هكذا نفسي، مثل نهر قد وقع في حبك. حبيبك جوهانز".

* * *

"عزيزتي كورديليا! هل المعانقة حرب ونزال؟ حبيبك جوهانز".

* * *

"عزيزتي كورديليا! أنت تتشكين من خطوبتنا، أنت تشعرين بأن حبنا لا يحتاج إلى رباط خارجي وأن هذا الرباط ليس إلا قيداً. في هذه المسألة أنا أفهم على نحو مباشر. رائعتي كورديليا! في الحقيقة، إنني أعجب بك. إن الرابطة الخارجية ليست إلا انفصالاً. لا يزال هناك انفصال يفرق بيننا. إن معرفة الآخرين بسرنا لا تزال تقلقنا. لا توجد الحرية إلا في المعارضة. وعندما يشك الآخرون في الحب ساعتها فقط يكون له معنى. عندما يعتقد كل الخارجين أن المحبين يكرهان بعضهما عندئذ فقط يكون الحب سعيداً. حبيبك جوهانز".

* * *

"عزيزتي كورديليا! الآن حقاً أستطيع أن أسميك وأعتبرك (فتاتي)، ولا توجد أمارة خارجية تذكرني بملكيتي، وعندما أتشبث بك وأنت متعلقة بذراعي، وعندما تتسللين داخلي في عناقك، حينئذ لا نكون في حاجة إلى خاتم يذكرنا بأننا نخص بعضنا، أفليس هذا العناق خاتماً هو أكثر من علاقة أو أمارة؟ وكلما ازددنا عناقاً بهذا الخاتم، ازددنا ارتباطاً لا ينفصم وازددنا حرية، لأن حريتك قائمة في أن تكوني لي

Twitter: @ketab_n

بمثل ما أكون أنا لك. حبيبك جوهانز".

* * *

"عزيزتي كورديليا! بينما كان آلفيوس يصطاد وقع في حب الحورية أرتيوسا. وهي لم تكن تنصت لأحاديثه بل كانت تهرب منه دائماً إلى أن تحولت في جزيرة أورتيجيا إلى ربيع. ولقد حزن آلفيوس على هذا كثيراً حتى لقد استحال إلى نهر. ومع هذا لم ينس حبه، بل تحت البحر ربط نفسه بذلك الربيع. فهل ولى زمن التحول؟ أجيبيني: هل ولت أيام الحب؟ كيف يمكنني أن أقارن روحك العميقة النقية التي لا رابطة لها بالعالم إلا بالربيع؟ وألم أقل لك إنني مثل النهر الذي وقع في الحب؟ وألسنا الآن منفصلين؟ أتدفق تحت البحر لكي أتحد بك؟ تحت البحر سوف نلتقي ثانية ففي ذلك العمق نمت إلى بعضنا حقاً. حبيبك جوهانز".

ويكتب جوهانز في اليوم الذي أعقب ليلة حبهما الوحيدة:

"لماذا لا تكون مثل هذه الليلة أكثر طولاً؟ إذا كان في استطاعة إلكترون أن ينسى نفسه فلماذا لا تكون الشمس متعاطفة بالمثل؟ ومع هذا لقد انتهت ولا أريد أن أراها ثانية. عندما تستسلم فتاة كلياً فإنها تكون ضعيفة وتكون قد فقدت كل شيء، فالبراءة عامل سلبي في الإنسان، لكنها بالنسبة للمرأة هي جوهر وجودها. والآن كل مقاومة مستحيلة، وعندما توجد فقط يكون الحب جميلاً، وعندما تكف تصبح ضعفاً وعادة. لا أريد أن أذكر بعلاقتي بها، لقد فقدت سحرها وتكون قد ولت تلك الأيام التى

Twitter: @ketab_n

فيها تستحيل الفتاة في انفعالها إزاء حبيبها غير المخلص إلى عباد الشمس. لن أودعها، فلا شيء يخنقني قدر دموع المرأة وصلواتها التي تغير كل شيء ومع هذا ليست لها أهمية حقيقية. لقد أحببتها، ولكن من هذه اللحظة وصاعداً لم تعد تستطيع أن تشبع نفسي. ولو كنت إلهاً لكنت فعلت لها ما فعله نبتون للحورية، لكنت حولتها إلى رجل".

Twitter: @ketab_n

9

القاضي ولهلم

في الجزء الثاني من كتاب (أما .. أو) يكون المتحدث هو القاضي ولهلم. وفي بحثين على شكل رسائل إلى (صديقه الشاب) ألا وهو الجمالي(أ) يطرح نظرته الأخلاقية في الحياة ويسعي حثيثاً إلى تغيير موقفه. فكل نظرة جمالية للحياة بصرف النظر عن مدى رهافتها وروحانيتها تفضي عاجلاً أو آجلاً إلى اليأس. وفي الحقيقة (تكون) هي اليأس حتى لو لم يكن الجمالي على علم بهذا. إن اقتفاء اللذة هي محاولة النفس أن تنسى ذاتها. لكن النفس في المدى الطويل لن تهزم فعاجلاً أو آجلاً ستتطلب نظرة للحياة ترى الحياة باعتبارها (مهمة أو وظيفة). مثل هذه المهمة مطروحة أمامنا جميعاً وكل فرد يجب أن يسعى إلى تحقيقها وفق مزاجه وظروفه الخاصة. وعندما يجري تقبل المسؤولية تكون الحياة قد اكتسبت معنى في هذه اللحظة فقط. والعامل الحاسم هو أن الإنسان يدرك هذا و(يختار نفسه) كما يقول القاضي بدل (أن يختار اللذة).

وعلى أي حال لا يعني هذا أن (الجمالي) يجرى كبته ومنعه. فهناك نقطة على جانب كبير من الأهمية عند القاضي هي أن الجمالي يمكن أن يعيش جنباً إلى جنب مع

Twitter: @ketab_n

الأخلاقي، وأن الجمالي لا يتطور تماماً إلى أن يقوم على أرضية أخلاقية. والبحث الأول للقاضي يحمل العنوان المميز (المشروعية الجمالية للزواج). هنا يتأكد أن "الحب الرومانتي يمكن أن يلتحم بالزواج حتى أن الزواج هو تناسخه الحقيقي" أو كما تقرر أيضاً هو "أن الزواج تناسخ الحب الأول وليس فناءه، إنه صديقه وليس عدوه" والعنوان الأكثر دلالة هو عنوان البحث الثاني: (توازي الجمالي والأخلاقي في تنمية الشخصية). والعامل الحاسم في تطور الفرد إلى الشخصية الأخلاقية هو (التوازي) بين الجمالي والأخلاقي حيث يجب أن يكون الأخلاقي هو الأساس مع هذا. ويتميز هذا البحث بدفء إنساني فريد.

"إن من يختار أخلاقياً ويجد نفسه (يمتلك نفسه) حيث يتحدد في كيانه الكلي. إنه يمتلك نفسه كفرد، يمتلك هذه القدرات وهذه العواطف وهذه الميول وهذه العادات التي تتأثر بهذه التأثيرات الخارجية. والمهمة في أن يأخذ الأمور على عاتقه قائمة في التنظيم والتشكيل والاشتغال والقهر. بالاختصار قائمة في إحداث توازن في النفس، إحداث تناغم يكون ثمرة الفضائل الشخصية. وهدف نشاطه هو هنا نفسه ومع هذا ألا يتحدد قسراً فقد أعطيت له النفس كمهمة حتى لو كانت نفسه هو لأنه اختارها. ولكن بالرغم من أنه هو نفسه هدفه فإن هذا الهدف ليس نفساً تجريدية تكون صادقة في كل موضع، وبالتالي لا تكون صادقة في أي موضع بل هي نفس عينية تعيش في تفاعل مع هذه الأشياء المحيطة الخاصة، هذه المواقف، مع حالة الأمور هذه. إن النفس التي هي هدف ليست مجرد نفس شخصية بل هي نفس اجتماعية، نفس مدينة. لهذا فإنه هو نفسه هو مهمته كنشاط حيث يتصرف - باعتباره هذه الشخصية عينها - إزاء ظروف الحياة".

Twitter: @ketab_n

إن القاضي ولهلم قانع بهذا الموقف إزاء الحياة. ولقد أفضي به هذا إلى أن يتطور بتناغم كشخص وكمواطن، وعبر عن هذا في أغلب الأحيان بمصطلحات رزينة كشخص وكمواطن، وعبر عن هذا في أغلب الأحيان بمصطلحات رزينة ومتزنة وهو أمر مختلف تماماً عن طريقة كيركجور المعتادة والمثيرة. ومثال على هذا القطعة التالية التي تلخص موقف القاضي من الحياة:

"إنني أنفذ واجباتي كقاض في محكمة العدل، وأنا سعيد برسالتي، وأعتقد أنها تماثل قدراتي وشخصيتي بتمامها، وأنا أعرف أن لها مطالب من ناحية طاقتي وأنا أسعى إلى أن أكيف نفسي معها بشكل أكبر وعندما أفعل هذا أشعر أيضاً بأنني أزيد من تطوير نفسي. إنني أحب زوجتي وأنا سعيد في البيت، إنني أسمع زوجتي تغني بلطافة ويخيل إلى أن الأغنية أجمل من أي أغنية أخرى بالرغم من اعتقادي أنها ليست مغنية، إنني أسمع الطفل يصيح وصياحه في أذني ليس نشازاً وأنا أرقب أخاه الأكبر يشب وينمو وأتأمل في مستقبله بفرح وثقة وليس بفراغ صبر فلدي الكثير من الوقت للانتظار، والانتظار نفسه فرح بالنسبة لي. وإن وظيفتي هامة بالنسبة لي وأعتقد إلى حد ما أنها مهمة بالنسبة للآخرين أيضاً وإن كنت لا أستطيع أن أحدد وأن أحصي بالدقة. ولدي شعور بالسعادة لأن الحيوات الشخصية للآخرين مهمة بالنسبة لي، وإنني أرغب وآمل أن تكون حياتي مهمة بالنسبة لأولئك الذين أتعاطف معهم في كل منعطفاتي في الحياة. إنني أحب بلادي ولا أستطيع أن أتصور نفسي مزدهراً في أي بلد آخر. إنني أحب لهجتي المحلية التي تطلق العنان لأفكاري، وأنا أجد أن ما أود أن أقوله في العالم أستطيع أن أعبر عنه من خلالها. وبهذه الطرق تكون حياتي مهمة بالنسبة لي للغاية حتى أنها تجعلني سعيداً وقانعاً وراضياً. وبالإضافة

Twitter: @ketab_n

إلى كل هذا إنني أعيش في مجال أعلى للحياة، وعندما يحدث أحياناً أن أخلط هذه الحياة الأرقى والأعلى بأنفاسي الأرضية والمحلية، فإنني أعتقد حينئذ إنني مبارك ويصبح الفن والبركة شيئاً واحداً بالنسبة لي. وهكذا أحب الحياة حقاً لأن الحياة حلوة وإنني آمل في حياة تكون أكثر حلاوة".

ويمكننا أن نتساءل كيف وقف سورين كيركجور نفسه شخصياً إزاء هذا الاختيار: (أما ... أو) والذي عرضه بمثل هذا الفن الرائع والمعرفة العميقة بالطبيعة الإنسانية في أول كتاب هام له؟ هل كان هو نفسه مواجهاً باختيار بين (الجمالي) و(الأخلاقي)؟ الجواب معقد إلى حد ما لكن لا يمكن الشك فيه.

ليس هناك شك في أن النظرة الجمالية للحياة كانت مغرية للشاب كيركجور بمثل ما هي مغرية لآخرين عديدين في ذلك العصر الروماني المتأخر، المتسم بسمات الشاعر بايرون الممتلئ بالكسالى الجماليين الأثرياء والذين هم ذوو ألمعية عالية. وفي طبيعة كيركجور مزاج مسبق مقرر نحو ما هو جمالي - أبيقوري. ولقد عاش الواقع أشبه بالشاعر الحقيقي وتبرز للغاية إدراكه الحسي والمرهف لملذات الحياة المرهفة. لكن في طبيعته أيضاً شعوراً فريداً راقياً للغاية. بالواجب والإحساس بالمسؤولية وهذا الشعور يكتشف في كل لحظة من لحظات الحياة واجبات و(مهام). لقد شعر بأن (الأخلاقي) يلقي عليه "بمطلب شديد على كل إنسان" والأخلاقي يعني "تحقق ما هو كلي". ومن ثم سرعان ما نال درجته العلمية وبعد هذا خطب. ولابد أنه قد شعر أن واجب كل إنسان أن يتزوج. إنه واجب المواطن، ما لم تمنعه أسباب. ولقد كرر كيركجور في يومياته حيث يعبر دائماً عن آرائه الشخصية عن أنه "يحب ما هو كلي مع سوداوية" وأن فرحه الأكبر إذا استطاع أن يحقق الكلي

Twitter: @ketab_n

أي الكلي حتى تمامه.

ومن المحتمل للغاية أن الاختيار بين (الجمالي) و(الأخلاقي) كان محيراً في بعض الأوقات بالنسبة لكيركجارد الشاب. غير أن خطوبته المأساوية علمته أن هناك "جانباً من الكلي" هو غير قادر على تحقيقه ألا وهو الزواج. لقد شعر بأنه قد وصل هنا إلى "حدود الفردية" بالرغم من أنه لم يكشف في أي موضع آخر بوضوح عن ماهية هذه الحدود. وعندما كتب كيركجور (إما ... أو) بعد الخطوبة في الثلاثين من عمره، لم يكن أمامه أي اختيار بين (الجمالي) و(الأخلاقي) بالمعنى الكامل لهذا المصطلح حيث يلعب الزواج دوراً سائداً.

ويتضح هذا بالمساهمة النهائية التي يقدمها القاضي ولهلم. فبعد أن عرض نظرته الأخلاقية في الحياة بطريقة عينية يستخلص القاضي نتائجه في الصفحات الأخيرة من بحثه الطويل عن جماعة من الناس يسميهم (المستثنين). وهؤلاء هم الناس الذين - لسبب أو آخر - "لا يستطيعون أن يحققوا الكلي" على الأقل الكلي في تمامه. مثل هؤلاء الناس يجب أن يوجدوا. فإذا كان هناك إنسان وهو يحاول أن يؤدي المهمة الملقاة على عاتقه والملقاة بالمثل على عاتق الآخرين، والتعبير عما هو إنساني كلي في حياته الفردية والتقى بصعوبات، فإذا وجد جانباً من الكلي مستحيلاً عليه أن يتمثله في حياته، فماذا يفعل؟ أولاً سيفكر في مدى حقيقته. ربما يلام الإنسان على عدم كماله، وهو قد يمتلكه على نحو ناقص لكن قد يكون حقاً إنه عاجز عن تحقيق الكلي. ربما مثل هذا الاعتبار قد يبدو غير كاف بالنسبة له وسوف يخاطر بالمحاولة. وقد يفضي هذا إلى تأكيد أن فرضه صحيح. ومثل هذه القناعة ستولد أسى عميقاً في ذهنه. "إنه سوف يبتهج من أجل الآخرين الذين

Twitter: @ketab_n

وُهبوا القدرة على استخدام هذا، ربما سيدرك أفضل منهم جماله لكنه سوف يأسى - لا عن جبن وخسة - بل بعمق وصراحة، لأنه سوف يقول: مع هذا فإنني أحب الكلي" غير أن (الاستثنائيين) لديهم بعض السلوان: فما فقده في المدى ربما قد كسبه في الحمية المكثفة. هذه هي الإمكانية القائمة أمام (المستثنين) لكي يكونوا أشخاصاً مستثنين بأكثر ما في الكلمة من نبالة. ولكن حتى لو كانت هذه هي القضية، فإنه مع هذا يعترف دائماً أنه سيكون أقرب للكمال بالنسبة له أن يتمثل كلية ما هو كلي.

وليس صعباً أن نتبين وراء هذه الملاحظات عن (الاستثنائيين) وضع كيركجور نفسه بعد الخطوبة التعسة. فما هي الإمكانيات التي كانت أمامه حينئذ؟ لقد أصبح اختيار كيركجور الشخصي اختياراً بين (الجمالي) و(الديني)، وبعد فسخ الخطوبة بفترة وجيزة كتب في يومياته: "عندما انفصمت العلاقة كان انطباعي على النحو التالي: إما أن تلقي نفسك في أقصى مرح وحشي (الجمالي) أو في النزعة الدينية المطلقة من نوع مختلف عما عند رجل الدين". ولقد اختار الأخير، اختار نزعة دينية ازدادت في طابعها المطلق مع السنين. لكنه شعر أولاً لا بحاجة إلى أن يوصل أسبابه لعدم قدرته على تحقيق الكلي. وعلي أي حال إنه يقوم بهذا بأن يمزج الواقع والخيال والتصوف في جوهر شعري سام وعلى الإنسان أن يميز مكوناته الواحد من الآخر.

Twitter: @ketab_n

10

الرُجعَي

في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٤٣ أي بعد نشر كتاب (إما ... أو) بثمانية أشهر ظهر كتيبان له في نفس اليوم: (الرجعي) و(خوف ورعدة) ومحتوى الكتابين له ارتباط وثيق للغاية بالخطوبة الملينة بالمأساة.

(الرجعي) يبدو أنه كتاب ألفه صاحب نزعة عقلية باردة هو قسطنطين قنسطنطيوس. وهو يسرد تعرفه (بشاب) واقع في الحب للغاية. وهو محبوب بدوره لكنه يكشف لصديقه أنه حتى بعد يوم أو يومين من الخطوبة "أنه قادر على تذكر حبه"، وهذا هو ما يشغله فهو بدلاً من أن يتطلع إلى أمام حياة الزوجية مع محبوبة، يتصور نفسه رجلاً عجوزاً جالساً في كرسيه يتذكر حب شبابه. وهو بعد كل شيء قد تخلص من شبقه، ويبدو كما لو كان قد فقد الحياة الطبيعية وبدلاً من هذا تتولد لديه قدرة إنتاجية شاعرية هائلة تبعث على الحياة تلهمها محبوبته. يقول قسطنطين قنسطنطيوس:

"الآن أستطيع أن أفهم كل هذا بسهولة. لم تكن الفتاة محبوبته، لقد كانت السبب الذي بعث الجانب الشعري فيه وجعلت منه شاعراً لهذا لا يستطيع أن يحب إلا هي ولا

Twitter: @ketab_n

يستطيع أن ينساها ولا يستطيع أن يحب سواها ومع هذا لا يمكن إلا أن يشتاق إليها دائماً. لقد أصبحت جزءاً منه على نحو كامل، وذكراها دائماً متجددة. إنها تعني الشيء الكثير بالنسبة له، لقد جعلت منه شاعراً وهي بهذا وقعت شهادة موتها".

ويبدو من رسائل سورين كيركجور إلى خطيبته ومن يومياته أن هذا هو بالضبط ما حدث في بداية خطوبة كيركجور. فالشاب يتصرف بالطريقة نفسها التي تصرف بها كيركجور في الواقع. فهو يفصم الخطوبة بعد (فترة رعب). لكنه بعد فسخ الخطوبة يواصل العيش بفكرة أنه قادر فوق كل شيء على أن يعود إلى خطيبته ويحقق الزواج. ومشكلته هي ما إذا كان سيكون قادراً على أن يغير طبيعته بطريقة تجعله صالحاً كزوج. وفي النهاية يرجع الشاب إلى البحث عن مدد من الدين ويبحث عن الراحة في تفكير أيوب الذي أخذ منه الله كل شيء ولكنه أرجع إليه كل شيء. وهذه هي (الرُّجعي) الدينية.

لكنه لا ينجح، فالرجعي لا تحدث. فمن مخطوطة كيركجور الأصلية يمكننا أن نتبين أنه في الكتابة الأولى جعل الكتاب ينتهي بانتحار الشاب. ولكن قبل طبع الكتاب حدث شيء غير متوقع في عالم الواقع وجاء مع هذا تغيير في المخطوطة. بإيجاز: عندما انتهى من المخطوطة وربما كان هذا في تموز (يوليو) ١٨٤٣ عرف كيركجور أن خطيبته السابقة قد خطبت من جديد، ومن ثم تغير الموقف تغيراً كاملاً. لقد أصبح كيركجور نفسه من جديد وأصبح حراً تماماً وغيَّر من نهاية الكتاب وبدل أن ينتحر الشاب ينفجر فرحاً لاستعادة حريته كلية:

"لقد أصبحت نفسي مرة أخرى، وإن قوة السحر التي كانت تمارس عليّ فلا أستطيع أن أرتد إلى نفسي قد

Twitter: @ketab_n

انهارت. لقد انتهى الأمر، وزورقي قد طفا وفي لحظة سوف أرتد إلى النقطة التي تفوق عندها نفسي، وحيث تنبعث الأفكار وهي تندفع مختلطة مع زئير العناصر وحيث الأفكار تهلل. إنني أمت إلى الفكرة. وهي عندما تؤمىء إلي أتبعها، وعندما تنظم موعداً فإنني أنتظرها ليلاً ونهاراً ولا شيء يستبقيني للأفكار، ولا أحد يعد لي العشاء. وعندما يناديني ما هو مثالي فإنني أدع كل شيء. إن كأس السكر قد دارت لي ثانية وإنني أتنفس من عبقها. فلتحيي الفكرة الطائرة فليحيي التكريس الشديد للفكرة، فليحيي خطر المعركة فليحيي الفرح المبتهج للنصر، فلتحيي الرقصة في دوامة الأبدية فلتحيي الموجة الدوامة التي تقذفني إلى الهاوية، فلتحيي الموجة المتكسرة التي تقذف بي إلى أعالي النجوم".

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

11

خوف ورعدة

ظهر كتاب (خوف ورعدة) في نفس اليوم الذي ظهر فيه كتاب (الرُّجعي) ولكن تحت اسم مجهول آخر هو جوهانز دي سيلنتيو. وواضح أن الموضوع الوحيد للكتاب تضحية إبراهيم بابنه. وقد جرى تحليل القصة القديمة بشكل فني مغر وبجدل قوي. إن إبراهيم من وجهة النظر الإنسانية أي الأخلاقية يعد قاتلاً بكل بساطة. لكنه يكتشف أنه في صراع بين الأمر الأخلاقي الذي يقرر ألا يقتل الإنسان والأمر الديني الذي يتطلب الخضوع لأمر الله. والسؤال ينشأ عما إذا كان هناك واجب مطلق نحو الله الذي يمكن أن يبطل قانوناً أخلاقياً؟ ويرد جوهانز دي سيلنتيو بالإيجاب عن هذا السؤال. وهنا وبتفرقة شديدة يفصل كيركجور بين "مجالي الوجود" الأخلاقي والديني. إن عظمة إبراهيم تكمن في إنه بالرغم من الأمر اللاإنساني الذي واجهه - أن يضحي بابنه الوحيد - يتمسك بإيمانه بالله حتى النهاية ضد العقل. ولهذا يعد إبراهيم "أب الإيمان" والكتاب الصغير يحتوي على "ثناء على إبراهيم" وهو ثناء حار.

غير أن الكتاب يحتوي على شيء أكبر من التحاليل

Twitter: @ketab_n

والمناقشات عن إبراهيم وإسماعيل. فعندما يكون الإنسان على ألفة بتفاصيل حياة كيركجور وظروفه تستضيء شؤونه الخاصة مرة أخرى في إشارات عديدة. أولها وفي مقدمتها قصة خطوبته. فهي تبدو للوهلة الأولى أن قصة إبراهيم وإسماعيل لا شأن لها بها. ولكن لو كان الأمر على هذا النحو فإن الإنسان يكون لم يعرف كيركجور بعد. فإلى درجة مدهشة كان قادراً في الأغلب أن يعكس حياته الشخصية وأحداثها في أجزاء أسطورية عديدة. وكما ذكرنا من قبل كتب كيركجور نفسه أنه شعر بصوت الله داخله يطلب منه أن يترك خطيبته: "يجب أن تتخلى عنها". لكننا نعرف أيضاً أن خطيبته قالت له من قبل الانفصال النهائي، أنه إذا تركها فسوف يكون في هذا حتفها. "لقد ألقت بجريمة على ضميري" والآن فإن التماثل مع إبراهيم يبدو معقولاً. فكما أن إبراهيم قد أمره الله أن يتخلى عن خطيبته بالرغم من أنها قالت أن في هذا حتفها. ولكن على عكس إبراهيم الذي استمر يأمل في مخرج سعيد ضد كل احتمال حتى اللحظة الأخيرة عندما استل سكينه على إسماعيل، فإن كيركجور لم يكن عنده مثل هذا الأمل في الاحتفاظ بخطيبته. وعلى عكس إبراهيم لم يكن لديه إيمان على الأقل بالنسبة لهذه المسألة.

وكثير مما هو شخصي يمكن ملاحظته خلف كلمات كتاب "خوف ورعدة" فلا يجب استبعاد توجيه الانتباه إلى فقرة محركة تحريكاً عميقاً حيث يتحدث كيركجور - دون الإشارة إلى إبراهيم وإسماعيل - عن مسرحية (ريتشارد الثالث) لشكسبير. إنه يناقش مفهوم الشيطانية.

"كقاعدة عامة، لا يسمع الإنسان الكثير عما هو شيطاني بالرغم من أن هذا يعد مجالاً له في عصرنا بصفة خاصة أهمية تقتضي اكتشافها، وبالرغم من أن المراقب يمكن أن

Twitter: @ketab_n

يستفيد من أي شخص - على نحو وقتي على الأقل - بشرط أن يعرف كيف يتصل بالشيطان. وفي هذا الصدد يعد ويظل شكسبير دائماً مبرزاً. ذلك الشيطان المخيف، أكبر شخصية شيطانية رسمها شكسبير بشكل لا يمكن مضاهاته. جلوشستر (الذي سيصبح فيما بعد ريتشارد الثالث) ما الذي جعله شيطاناً؟ واضح أنه لا يستطيع أن يطيق الشفقة التي كان تحت رحمتها منذ طفولته. والمونولوج الذي يقول في الفصل الأول من مسرحية (ريتشارد الثالث) أكثر قيمة من كل مذاهب الأخلاق التي لا تستطيع أن تستوعب أشكال الرعب في الوجود أو تفسير الإنسان:

"ولكنني أنا، أنا الذي لم أتكون من أجل الحيل البهلوانية.

ولم أُصنع لألعب دور المرأة العاشقة.

أنا الذي طُبعت على نحو وقح وأريد جلالة الحب.

أتبختر أمام حورية لاعبة لاهية

مغشوشة ملامحي بطبيعة خداعة.

فذلك غير مكتمل بُعثت قبل زماني.

إلى هذا العالم المتنفس المتشح الذي لم يتشكل إلا نصف تشكل

وأنا أعرج ليس لي تكوين.

حتى أن الكلاب تنبح عليّ وأنا أتعثر بقربها".

ويعلق كيركجور:

"إن الطبائع من أمثال طبائع جلوشستر لا يمكن إنقاذها بالتأمل في فكرة المجتمع. فالأخلاق تسخر منها. إن هذه الطبائع متناقضة أساساً وهي لا تقل كمالاً عن الناس الآخرين، وكل ما هنالك أنها: إما أنها ضائعة في التناقض

Twitter: @ketab_n

الشيطاني أو يتم إنقاذها فيما هو إلهي. وكثيراً ما ابتجهنا أن الساحرات والجنيات والغيلان وما شاكلها هي مخلوقات مشوهة ولا يمكن إنكار أن كل إنسان عندما يرى شخصاً مشوهاً يربط بينه وبين فكرة الفساد. إن الجور الهائل في ذلك الموقف يفضل بالأحرى قلبه والحياة هي التي أفسدتهم كما تفسد زوجة الأب الأولاد. أن يوضع الإنسان أصلاً خارج العالم بالظروف الطبيعية أو التاريخية ليعد بداية ما هو شيطاني والذي لا يكون الفرد مسؤولاً عنه.

ويعلن كيركجور في يومياته عدة مرات أنه كان معزولاً عن العالم بالطبيعة، بسبب طبيعته الناقصة، وبالظروف، بسبب اللعنة الملقاة على الأسرة. وبالنسبة للناحية الطبيعية يعلن كيركجور بنفسه في يومياته أنه لا يكاد يُعد إنساناً كاملاً. وقد وصفه بعض معاصريه كأحدب أو شبه بالأحدب ووصفه آخرون بأن كتفيه مستديران أو أن ظهره منحن. وتكشف اللوحات التي رسمت له أيضاً على أن له جسماً مشوهاً بالرغم من أنه يصعب تحديد درجة الشذوذ في التكوين. وعلى أي حال، من المؤكد أنه كان غير طبيعي وإعجابه الشديد بمشكلات مسرحية ريتشارد الثالث مسألة يسهل فهمها. لكن النقطة الحيوية لا تزال تحتاج إلى إزاحة الحجاب عنها.

إن الطبيعة النبيلة والفخورة يمكنها أن تطيق وتتحمل كل شيء لكن هناك شيئاً واحداً لا يمكنها أن تتحمله وهو الشفقة. هناك انتهاك فيها تنبت فيه من قبل قوة أعلى، فهو من ناحية لا يمكن أن يكون موضوعها. فإذا كان قد أثم فإنه يستطيع أن يتحمل العقاب دون قنوط ولكن أن يكون بلا خطيئة منذ أن كان في الرحم وأن يكون ضحية الشفقة وأن يكون رائحة طيبة في خياشيم هذه الشفقة فهذا هو ما لا يستطيع أن يطيقه.

Twitter: @ketab_n

هذه بطبيعة الحال ملاحظة عامة جرى التعبير عنها بألمعية. ومع هذا يمكننا أن نسمح لأنفسنا أن نتذكر - استناداً لكيركجارد نفسه أن خطيبته صرحت خلال إحدى المشاجرات المتكررة بينهما أنها تقبلته بدافع من الشفقة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

12

مفهوم القلق

في حزيران (يونيو) ١٨٤٤ ظهر في غضون بضعة أيام كتابان هما "شذرات فلسفية" لجوهانز كليماكوس، و"مفهوم القلق" لفيجيليوس هاوفمينيسس والكتاب الأول له علاقة وثيقة بمؤلف كيركجور الفلسفي الرئيسي "حاشية غير علمية" الذي نشر عام ١٨٤٦، والذي سوف أناقشه فيما بعد.

يعد كتاب "مفهوم القلق" كتاباً تنبؤياً بشكل ليس له مثيل. وفيجيليوس هاوفمينيسس على حق تماماً عندما يعتقد أن مفهوم القلق لا تكاد السيكولوجيا أن تتناوله. وفي ذلك الوقت كان هذا حقاً، وإن كان الأمر اختلف فيما بعد. ومن المعروف في وقتنا أن سيكولوجيا "القلق" تلعب دوراً كبيراً وفريداً لا في مجال الطب العقلي فحسب مع وجود العديد من أشكال عصاب القلق، بل أيضاً في أشكال الأرق حيث القلق هو الانفعال السائد في الحياة. وحتى في علم نفس الدين وفي التحليل النفسي وفي الوجودية يعد "القلق" ظاهرة محورية تسعى إلى حل ألغازها. ولقد كان القلق بالنسبة لكيركجارد أيضاً ظاهرة هامة وخاصة في شكل المخاوف الجنسية.

Twitter: @ketab_n

وللكتاب عنوان فرعي هو: "تروٌ سيكولوجي بسيط موجه نحو المشكلة القطعية الخاصة بالخطيئة الأصلية". وهنا نجد في الحقيقة بحثان، أولاً: هناك بحث سيكولوجي عن القلق، وثانياً: هناك تفسير للقلق بالنسبة للعقيدة المسيحية عن السقوط والخطيئة الأولى. وللبحث قيمة مستقلة خاصة به بصرف النظر عما يعتقده الإنسان في البحث الثاني وهو تفسير تأملي للغاية.

وبالرغم من أن كيركجور لا يشير في أي موضع آخر لتجربته الخاصة بل يطبق ما يطلق عليه اصطلاحاً تعبير: "ملاحظة تجريبية" عن الآخرين، فإن الإنسان يشعر دون شك بأن الشخص الذي يتكلم لهو على علاقة صميمية بتجربته الخاصة مع وجود أسرار القلق، وهو يفضح نفسه بمجرد أن يفرق بين الخوف والقلق اللذين يختلطان لدى عديد من علماء النفس في عصرنا. والقلق حسب رأي كيركجور "مختلف تماماً عن الخوف والانفعالات المماثلة والتي لها ارتباط بموضوع محدد على حين أن القلق هو حقيقة الحرية على أنها إمكانية الإمكانية". وهذه العبارة الأخيرة ذات الطابع التجريدي تعني أن القلق له علاقة بذلك الذي يمكن للإنسان أن يفعله. والإنسان وهو مواجه بهذه "الإمكانية" ينغمس في القلق ويعيش "كراهية تشاركية وتشاركاً كارها"، فالإنسان ينجذب ويتنافر في الوقت نفسه. وعند كيركجور، أن قلقاً بالإمكانية المماثلة لهذا يسبق دائماً فعل "الخطيئة". وهناك فقرة شهيرة تأتي على هذا النحو:

"القلق قد يكون شبيهاً بالدوار. ومن يتسنَ له أن تقع عيناه على الهاوية تفتح فاها يُصب بالدوار. لكن السبب في هذا يرجع إلى عينيه بقدر ما يرجع إلى الهاوية. فلنفرض أنه لم يتطلع إلى الأسفل. وهكذا فإن القلق هو دوار الحرية الذي

Twitter: @ketab_n

يحدث عندما تتطلع إلى إمكانيتها. وفي هذا الدوار تنخفض الحرية. وإلى أبعد من هذا لا يستطيع علم النفس أن يذهب كما أنه سوف لا يذهب إلى أبعد من هذا، ففي هذه اللحظة يتغير كل شيء وعندما ترتفع الحرية ثانية تتبين أنها آثمة. وبين هاتين اللحظتين تقوم الوثبة التي لم يفسرها أي علم ولا يستطيع أن يفسرها. وأن من يأثم عندما يكون قلقاً يكون آثماً للغاية على نحو ملتبس. أن القلق ضعف نسائي فيه يغمي على الحرية، فإذا تحدثنا بطريقة سيكولوجية قلنا أن السقوط في الإثم يحدث دائماً في حالة إغماء".

ما هو التفسير السيكولوجي لآدم الذي انتهك تحريم الله الأكل من شجرة المعرفة ومن ثم عمل الخطيئة للعالم؟ إن التفسير السيكولوجي - اللاهوتي المعتاد يفترض أن التحريم أغرى آدم وبعث فيه رغبة في انتهاكه. غير أن كيركجور يتصور من جهة أخرى أن التحريم أثار في آدم القلق من انتهاكه، وأنه انتهاكه في دوار القلق. "أن التحريم يجعله قلقاً لأن التحريم يثير فيه إمكانية الحرية فيه، الإمكانية الضارة (لارتكاب الإثم)".

ويرى كيركجور - أبعد من هذا - إن خطيئة آدم موروثة كخطيئة أولية من قبل أبناء سلالته الذين خلال التقدم الدائم من جيل إلى جيل يرتكبون آثاماً جديدة في القلق، وهذه الآثام تنحدر أكثر حتى أن كتلة الخطيئة الأصلية تنمو وتنمو ومعها ينمو القلق حتى عصرنا. وفي هذه المرة لا يزال كيركجور يؤكد تضامن الفرد مع الأسرة. "في كل لحظة يكون الفرد نفسه وأسرته" بل إنه حتى ليقرر: "الجوهري في الوجود الإنساني هو أن الإنسان فرد وهو باعتباره فرداً هو نفسه وأسرته كلها حتى أن الأسرة كلها تشارك في الفرد والفرد يشارك في الأسرة". وضد هذه الأرضية يمكن تبين لماذا كان (للزلزال الأكبر) أثر عنيف

Twitter: @ketab_n

على كيركجور الشاب. لقد فهم قلقه كقلق شخصي وكقلق الخطيئة الأولى.

ويتضح مما قد قيل أن (الشبقي) و(الجنسي) يلعبان دوراً هاماً في كتابات كيركجور. ففي (مفهوم القلق) نجده أو بالأحرى قرينه المماثل فيجيليوس هاوفمينيسس. يناقش مسألة (ما هو جنسي) من وجهة نظر العقيدة المسيحية، فيما يتعلق بسقوط آدم في الخطيئة وتعاليم الخطيئة الأولى. والجنسية عند فيجيليوس هي "أقصى تطرف لما هو حسي". ويجري التأكيد على أنه مع خطيئة آدم "تنفذ الخطيئة إلى العالم ويظهر ما هو جنسي (بالمعنى المسيحي) إلى حيز الوجود، والاثنان لا ينفصلان عن بعضهما". ولا يجري تأكيد أن الجنسية هي الخطيئة (أصلاً)، لكنها تصبح هكذا من خلال خطيئة آدم، وكما أن القلق من انتهاك التحريم هو الأرضية النفسية للخطيئة فإن فكرة ما هو جنسي تترافق مع كل نسل آدم بالقلق. إن الإنسان عند كيركجور مكون من الجسم والنفس والروح، إنه حيوان وإنسان معاً. لكن الوجود الحقيقي للإنسان هو (الروح) والروح تستشعر نفسها غريبة وقلقة داخل الجسم. إن المهمة "بالنسبة لما هو جنسي هو على نحو طبيعي" (هكذا يقول فيجيليوس) "إخضاعه لسلطة الروح". فهنا نجد كل المشكلات الأخلاقية المتعلقة بما هو جنسي وشبقي. وتحقق هذه المهمة هو "انتصار الحب في الإنسان، حيث تقهر الروح لدرجة أن ما هو جنسي يجري تناسيه ولا يتم تذكره إلا في النسيان". وعندما يحدث هذا تنكشف الحسية كروح ويتم طرد القلق.

إن كلمات فيجيليوس هاوفمينيسس هي دون شك مطابقة لوجهة نظر كيركجور. إن تطوره يتحرك في اتجاه (الروح الخالص). ولكن تحت هذا التطور يمكن استخلاص

Twitter: @ketab_n

علامات على التركيز الدقيق في حياته الشخصية. ولا يمكن التشكيك في أن كيركجور كان نفسه يشعر بقلق من الجنس. وإذا كان قد فقد (براءته) في شبابه المبكر - كما يفترض بعض الدارسين - فإن من المحتمل للغاية أنه هو نفسه يعتقد أن القلق من الجنس - التعاطف الكاره والكراهية المتعاطفة - هو السبب الذي جعله يأثم. ونحن نجده في موضع ما من اليوميات يكتب عن شبابه: "لقد كان القلق حقاً هو الذي أفضى بي إلى أن أشتط بعيداً". ونظرة كيركجور لما هو جنسي - وهي نظرة توجهها المسيحية - تتميز إلى حد كبير بمعاداة الحياة في فلسفته. إن إماتة الجنسية كانت (المهمة) أو إذا عرضنا الأمر على نحو معتدل قلنا تحويلها إلى حب روحي حيث تختفي تماماً. إن مفهوم القلق يتوج الأعمال المتأخرة التي يطرح فيها كيركجور نظرة أكثر تزمتاً للمسيحية.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

13

مراحل على طريق الحياة

بعد حوالي سنة من ظهور كتاب (مفهوم القلق) ظهر كتاب جديد مطول مجهول المؤلف هو كتاب (مراحل على طريق الحياة) وهو من حوالي ٤٠٠ صفحة وقد نشر في نيسان (أبريل) ١٨٤٥، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام تمثل على التعاقب مراحل الحياة الجمالية والأخلاقية والدينية.

والكتاب يبدأ بوصف طريف لحفلة يشترك فيها خمسة أقطاب نحن على معرفة بأربعة منهم من كل المؤلفات المجهولة المؤلف السابقة، وهم الشاب وقسطنطين قنسسطينيوس وفيكتور ارميتا وجوهانز المُغوي، وينضم إليهم شخص بلا اسم يشار إليه على أنه مصمم الأزياء. ويصف كيركجور ببراعة فنية، الإطار المترف لهذه الحفلة الغربية والتي خلالها يدلي كل من المشتركين الخمسة بحديث وهو يبحث تفسيره للحب والمرأة كما في محاورة (المأدبة) لأفلاطون[1] ومعظم الأحاديث ألعاب نارية تظهر الطرافة والمرح ولا يتبين بوضوح مقدار

١. النص الأصلي يقول: كما في المأدبة اليونانية فاردنا زيادة التوضيح (المترجم).

Twitter: @ketab_n

الجدية فيها، ويتعاقب فيها التناقض الظاهري الجريء والحقيقة النفاذة.

وبعد الافتتاحية نجد بحثاً عن "بعض التعليقات عن الزواج ضد الاعتراضات" والتي تدل على أن التي كتبتها شخصية أليفة أخرى هي القاضي ولهلم. إنه يدافع مرة أخرى عن الزواج من الاعتراضات التي يثيرها الأقطاب الخمسة (الجماليون). وهكذا في القسمين الأولين من كتاب (المراحل) يرجع كيركجور إلى الموضوعات التي تناولها في (إما ... أو) ولا شيء جديدًا بصفة أساسية هنا.

وأكبر جزء فريد وقيم في كتاب (المراحل) هو الجزء الثالث وهو أطولها. وحتى العنوان مثير: "مذنب أم غير مذنب؟" مع عنوان فرعي .. "قصة معاناة: تجربة سيكولوجية لفرانز تاسيتورنوس". وبمعنى ما من المعاني، هذا استئناف لموضوع سبق تناوله ألا وهو قصة خطوبة كيركجور التي كانت - كما رأينا - موضوع كتاب (الرُجعي). ولكن بينما كان كيركجور قاصراً نفسه في ذلك الكتاب على فترة بداية الخطبة وهي فترة قصيرة من الزمن عندما كان محباً حقاً، نجد أنه يعطي في "مذنب أم غير مذنب؟" تحليلاً واقعياً شاعرياً لسنة الخطبة على مداها بكل دوافعها ومراحلها المعقدة. وهنا نجد وصفاً سيكولوجياً شاملاً وتحليلاً لا يكاد يكون له مثيل في الأدب العالمي. والسرد على شكل مذكرات كتبها شخص اسمه كويدام. ويندهش الإنسان مرة أخرى كيف استطاع كيركجور أن يكون أميناً مع الواقع. وعلى سبيل المثال مذكرة الوداع التي بعث بها كيركجور إلى خطيبته عندما أراد أن يفصم الخطوبة وقد طبقت بنصها في هذا الكتاب (سبق أن أوردناها من قبل في الفصل عن مفهوم التهكم).

يبدأ كويدام بوصف طبيعته بأنها طبيعة (سوداوية)

Twitter: @ketab_n

وبسبب هذا فإنه قبل أن يتقدم باقتراح قد تساءل بعناية وله مثل هذا الطبع ما إذا كان له الحق في الزواج. وقد انتهى إلى أنه يمكنه أن يخاطر به. لقد تمكن تماماً من إخفاء سوداويته وراء قناع من المرح وإخفاء سوداويته بحالة عكسية. وما من أحد يستطيع أن يلاحظ كآبته وكان هذا مصدر اعتزازه، وجاء قراره أن من الأفضل أن يستمر في الحياة هكذا غير أنه يفشل، فتدريجياً بدأ يدرك خلال فترة الخطوبة أنه من المستحيل عليه أن يحقق زواجاً بشكل مُرض. أولاً لأنه يوجد اختلاف كبير في الفردية بين خطيبته ونفسه حتى أنه سيصعب عليهما أن يلتقيا في فهم ديني متبادل. ثانياً، لأنه بسبب صنيعة الزواج عليه أن يكون صريحاً صراحة مطلقة مع زوجته. غير أن سوداويته تحتفظ بالأسرار التي لا يستطيع أن يكشفها لزوجته حتى لو كلفه هذا حياته. ومن ثم فهو مضطر إلى فسخ خطوبته وهو يفعل هذا في الكتاب بالطريقة عينها كما فعل في الواقع بالرغم من أن خطيبته تقول إن في هذا موتها. فهل هو إذن مذنب أم غير مذنب؟ هذا التساؤل خاضع لبحث سيكولوجي وأخلاقي نفاذ ومتعدد الجوانب يفصل الجزئيات بأكبر دقة. وها هو مثال قصير:

"أين يكمن ذنبي؟ فلأبدأ بما لست قادراً على تحقيقه. أين يقع خطأي؟ أن أجعل إنساناً تعساً. بأي شكل أجعله تعساً؟ في الإمكانية، وحتى أن ضميري يثقل على بسبب كلامها وبسبب الإمكانية. فما هو عقابي؟ أن أتحمل الوعي بهذا. فما هو أملي؟ إن تخفف عناية رحمية في الواقع العقاب بمساعدتها. فماذا يقول عقلي عنها؟ إنه لا يوجد بالضبط إمكانية ما هو أسوأ. فما هي نتيجة هذا بالنسبة لي؟ لا شيء مهما يكن. إن الإلزام الأخلاقي لا يمكن محوه بفرض عن الإمكانية، بل أن يأخذ الإنسان على عاتقه المسؤولية لأكثر الإمكانيات تطرفاً".

Twitter: @ketab_n

إن قارئ هذا الكتاب المفرد يجد نفسه يتساءل باضطراب متزايد: من أي شيء تتكون (سوداوية) كويدام حقاً؟ وما هي أسبابها؟ لسوء الحظ ليس من الممكن أن نجد جواباً واضحاً وشافياً. هناك في الحقيقة إشارات عديدة ورموز كثيرة لكنها كلها مما يمكن تفسيرها بطرق عديدة. هذه الإشارات الكنيية هي في الغالب من نفس الطابع الذي يتحدث عنه كيركجور في موضع آخر - في يومياته - عن "الشوكة التي في اللحم" وهناك من الأسباب ما يدعو إلى الاعتقاد بأن (سوداوية) كويدام هي إلى حد كبير شوكة كيركجور التي في اللحم.

لنقل بوضوح شديد: إن كيركجور منذ بداية حياته قد ابتلي (بشكوى رئيسية) لم يشرح طبيعتها إطلاقاً لكنه يسميها أحياناً أحزاناً سوداوية وأحياناً أخرى يسميها شوكته التي في اللحم. ولقد اعتبر هذا مرضاً خطيراً له طبيعة مادية وروحية خالصة معاً. زيادة على ذلك اقتنع اقتناعا شديداً أن الإنسان لا يصبح (سوداويا) إلا بسبب وجود (ذنب). يضاف إلا هذا أن الذنب القائم في أعماق سوداويته وهو ذنب شخصي في جانب منه وخطيئة أولية ورثها من أسرته في الجانب الآخر. فإذا بحث الإنسان عن تفسير أكثر تفصيلاً يرتد الإنسان إلى ما يسميه كيركجور حياته المضادة للفعل أي إلى ما قبل خطوبته ومن هناك إلى ما يسميه ذنب الأسرة، حتى أن الخطيئة - حسب رأيه - تجثم على كل الأسرة. بكلمات أخرى يواجه الإنسان (الزلزال الأكبر) الذي سبق ذكره في الفصل الخاص بهذا الزلزال.

تلك هي الموضوعات الغامضة التي تناولها في أكثر الأجزاء إثارة في "مذنب أم غير مذنب؟". أي (الاعتراضات) الستة التي تقطع سياق اليوميات أحياناً

Twitter: @ketab_n

ودون مزيد من التفسير. وهذه الفقرات عناوينها على النحو التالي:

"اليأس الصامت - المنبوذ يتطلع إلى نفسه - حلم سليمان - إمكانية - درس يجب قراءته - يبوشا ندنزار". وهناك من الأسباب إلى الاعتقاد أن هذه الفقرات المرضية المأسوية الانفعالية هي رموز تشبيهية وهي في ذروتها تكيفات أسطورية للصراعات في حياة كيركجور الخاصة وحياة أسرته ومعظمها صراعات في حياة أبيه. إن الحقيقة والغموض يختلطان هنا بشكل شغل في الغالب دارسي كيركجور. ولن نورد هنا لإعطاء مذاق لهذه الفقرات إلا الفقرة الثالثة وعنوانها (حلم سليمان) وهي لا تشغل سوى صفحتين في الأصل.

تقول الفقرة في البداية: "لو كان هناك انفعال من التعاطف فيجب أن يكون الخجل من أبي الإنسان، من الشخص الذي يحبه الإنسان أكثر من أي إنسان آخر، ويميل إليه الإنسان أفضل من أي إنسان آخر، ولكن أي نعمة أفضل في التعاطف عن الجرأة على الحب كما يرغب الابن وأن يكون لديه فرح إضافي بالجرأة على أن يكون فخوراً به لأنه الشخص المختار، الشخص المميز، قوة الجماعة، فخر الأمة. هذا هو حظك يا سليمان السعيد. ففي الشعب المختار كان ابن الملك، ابن ذلك الملك الذي كان بين الملوك الملك المختار.

"وهكذا عاش سليمان الصغير سعيداً مع النبي ناثان. ولكن ذات يوم زار أباه الملكي. وخلال الليل استيقظ على صوت حركات حيث يرقد أبوه. فتولاه الرعب وخشي أن وغداً على وشك قتل داود. فتسلل ورأى داود في حسرته وسمع صيحة اليأس من النفس النادمة، ولقد أغمي عليه ورجع سليمان الصغير إلى فراشه ورقد، لكنه حلم بأن أباه

Twitter: @ketab_n

غير مقدس وأنه مرفوض من الله وأن جلالته هي غضب الله عليه وأنه يجب أن يرتدي زي الحكم كعقاب وأنه محكوم عليه بأن يحكم ومقدر عليه أن يسمع شعبه يباركه، بينما الرأي السديد للرب يصدر سراً الحكم على الآثم، وكان الحلم نذيراً، الله ليس رب التقي بل رب العاصي، وأن الخطيئة السرية هي السر الذي يفسر كل شيء.

"لقد أخذ سليمان يزداد حكمة، لكنه لم يصبح بطلاً، ولقد أصبح مفكراً، لكنه لم يصبح مصلياً، ولقد أصبح واعظاً لكنه لم يصبح مؤمناً، وهو يستطيع أن يساعد الكثيرين، لكنه لا يستطيع أن يساعد نفسه، ولقد أصبح حساساً، لكنه لم يصبح تائباً، ولقد انسحق لكنه لم ينهض لأن قوة إرادته قد أثقل عليها كثيراً بسبب كثرة المطالب الملقاة على قوة شاب. لقد تداعى خلال الحياة، وتقاذفته الحياة وهو قوي، قوة غير عادية، في الأشكال الساحرة للخيال واختراعاته العجيبة وهو عبقري في انكشاف تفكيره. غير أن وجوده قد تمزق وأصبح سليمان أشبه بالشخص العاجز الذي ليست لديه قدرة على الاحتفاظ بكيانه".

وهناك الكثير الذي يدل على أن لب "حلم سليمان" يشير إلى الواقع أي إلى كيركجور الشاب كما يمثله سليمان وإلى أبيه العجوز المعبود كما يمثله داود. وبنفس الطريقة فإن رد فعل سليمان على اكتشاف خطيئة داود يكشف بكلمات حادة رد الفعل (الأول) لكيركجارد الشاب عندما اقتفى آثار الملذات في الحياة حوالي عام ١٨٣٦، وأنه وطأ - حسب تعبيره - طريق الهلاك. والنقطة المحورية في (حلم سليمان) هي عبارة: "الخطيئة السرية هي السر الذي يشرح كل شيء". وهذه هي الفكرة المحورية أيضاً في (الزلزال الأكبر). وإلى هذا يمكننا أن نضيف الواقعة التافهة أن سورين كيركجور قد شارك - لفترة من الفترات

Twitter: @ketab_n

ـ أباه العجوز في حجرة نومه.

إن الحياة تفقد معناها بالنسبة لكويدام من وجهة النظر الجمالية ووجهة النظر الأخلاقية معاً. وهو في مرحلة انتقالية بين المرحلتين الأخلاقية والدينية وأكبر خصائصها هي المعرفة اليقينية بأن الحياة ألم ومعاناة. ومن هنا نجد التحول ممكناً إلى المرحلة الدينية حيث يفهم الفرد نفسه وهو إزاء الله من خلال المعاناة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

14

حاشية غير علمية

لقد لاحظنا أن كيركجور نشر في حزيران (يونيو) ١٨٤٤ كتاباً صغيراً تجريدياً وتأملياً للغاية عنوانه "شذرات فلسفية" باسم مجهول هو جوهانز كليماكوس. ولم يحظ الكتاب إلا بالإهمال. ولكن في شباط (فبراير) ١٨٤٦ ظهر كتاب ضخم في حوالي ٥٠٠ صفحة باسم جوهانز كليماكوس وله عنوان مثير: (خاتمة لحاشية غير علمية للشذرات الفلسفية) والعنوان الثانوي: "تشكيل جدلي مرضي مليء بالمحاكاة، مساهمة وجودية بقلم جوهانز كليماكوس". وهذا الكتاب هو ذروة وتتويج للمؤلفات المجهولة بالنسبة للمواقف الفلسفية تجاه الحياة. وهو أيضاً أهم كتبه العلمية، إنه مؤلفه الرئيسي النظري، وهذا العمل هو المصدر الأكبر الذي استلهمته (الوجودية) في عصرنا.

وحتى في العنوان الفرعي الذي سبق أن أدرجناه نجد الكلمة السحرية: مساهمة (وجودية) بقلم جوهانز كليماكوس، والقارئ خلال الكتاب كله تستغرقه مصطلحات فلسفية جديدة حيث تُستخدم كلمتا (الوجود) و(الوجودي) بشكل دائم باعتبارهما المفتاح للمسألة برمتها. ونحن نجد:

Twitter: @ketab_n

اختيارات الوجود، تصادم الوجود، جدل الوجود، ظروف الوجود، شكل الوجود، تجربة الوجود، شفافية الوجود، أسرار الوجود، باطنية الوجود، مقولات الوجود، فن الوجود، تواصل الوجود، وسيط الوجود، الحد الأدنى للوجود، تناقضات الوجود، إمكانية الوجود، تحول الوجود، مهام الوجود، مشكلات الوجود، مجالات الوجود، مشكلات الوجود، مراحل الوجود، وجهات نظر الوجود، مصاعب الوجود، ونجد: الوجود الروحي، الوجود الطبيعي، الوجود الحقيقي، وجود الفكر، الوجود الإنساني، الوجود الإلهي، الوجود المثالي، الوجود الشاعري، ظل الوجود، الوجود التافه، وجود المؤلف والآخرين.

كل هذه التعبيرات بالنسبة لكيركجارد حافلة بالمعنى، وقد استخدمتها الوجودية فيما بعد وبالإضافة إلى هذا فقد صكت المصطلحات الوجودية. وهناك مفكر من أبرز الوجوديين المعاصرين وهو مارتن هيدجر على صواب عندما يكتب عن الوجودية وينسبها إلى كيركجور. ويقول جان فال أستاذ الفلسفة بالسوربون في كتابه: (تاريخ موجز للوجودية): "إن كلمة الوجود بالمعنى الفلسفي الذي لها اليوم، استخدمها لأول مرة واكتشفها كيركجور".

فماذا فهم كيركجور إذن من فلسفة الوجود؟ لسوء الحظ لا يمكن الجواب عن هذا السؤال بكلمات قليلة حيث أننا لا نجد في أي موضع في كتابات كيركجور تعريفاً مختصراً. وكذلك لم يفعل الوجوديون المحدثون، ويصعب التعبير عن هذه المسألة المعقدة بكلمات قليلة. وهنا سنقتصر على توجيه الانتباه إلى بعض الملامح البسيطة - والأساسية في الوقت نفسه - لوجودية كيركجور.

إن مفهوم الوجود مألوف على نحو طبيعي في الحديث اليومي وفي المصطلح الفلسفي. وكل إنسان يعرف ما

Twitter: @ketab_n

المقصود بالقول إن شيئاً ما يوجد أو لا يوجد. وعلى أي حال فإن وجودية كيركجور ليست معنية بالوجود بالمعنى العام للكلمة، بل هي معنية بصفة خاصة (بالوجود الإنساني). وفي هذا الإطار: ما المقصود أن "يوجد الإنسان كإنسان؟" أو: ما هي الطرق التي "يمكن للإنسان بها أن يوجد كإنسان؟".

وفي رأى كيركجور فإن الوجود الإنساني هو أولاً وقبل كل شيء وجود في الزمن مقابل الوجود في الأبدية. إن الإنسان يولد ويعيش لفترة من الوقت ثم يموت. وفي ظل أفضل الظروف يعيش ثلاثة أجيال وعقداً من السنين. وبدون أن يريد الإنسان فإنه (مدعو للوجود) ذي الديمومة المحدودة للغاية. ومع هذا: "أن توجد هو الاهتمام الأكبر للإنسان".

وتظهر الإمكانيات المختلفة كيف يستطيع أن يوجد الإنسان كإنسان. ومهمة (المفكر الوجودي) أن ينظر في هذه المسائل وأن يصل إلى فهم صميمي لها وأن يدلي (بتواصلات الوجود) عنها. ومثل هذا التواصل للوجود قد يكون من الطابع الشخصي جداً وقد يكون من النوع الفني. والعامل الحاسم هو أن المفكر الوجودي لا يتخذ فقط موقفاً عقلياً ملاحظاً ومؤكداً تجاه الأشكال الممكنة المختلفة للحياة، بل هو يكرس نفسه بشدة وبحدة لهذه الإمكانيات، وهو نفسه يعيش بشدة وبحدة في ذلك (الشكل للوجود) الذي اختاره. وبهذا الموقف الانفعالي القوي تجاه الوجود يفصل (المفكر الوجودي) نفسه عن (المفكر) بصفة عامة. فبينما المفكر هو مفكر موضوعي خالٍ من العواطف يتجاهل بقدر الإمكان كل المشاعر، فإن المفكر الوجودي يفضل في الحقيقة أن ينغمر بنفسه في الجانب الانفعالي للوجود. ولهذا فإن المفكر الوجودي غالباً ما يُسمى (المفكر الذاتي)

Twitter: @ketab_n

على حين أن المفكر بصفة عامة، العالم، يسمى (المفكر الموضوعي).

وغالباً ما يتكلم كيركجور عن (المفكر الموضوعي) بسخرية شديدة وتهكم كبير عندما يشغل ذلك المفكر نفسه بمسائل الوجود، ولكن بشكل عقلاني كمجرد ملاحظ دون أن يعيش هو نفسه ما يفكر فيه. وبصفة خاصة يضع كيركجور في ذهنه النمط الهيجلي في حرفة التفكير الذي ينظر إلى الحياة من وجهة نظر تأملية ويكتب (مذهباً) عن ذلك يجب أن يعاش أولاً وقبل كل شيء. ويتحدث كيركجور عن "تلك الدمية الصغيرة، الأستاذ الموجود، الذي يكتب المذهب". إنه شخص متباعد، شخصية مؤسفة للأستاذ الذي يعيش على نحو خيالي في عالم التجريد وهو ينسى مطالب الوجود عليه. وعندما يفقد نفسه في عالم التأمل يستبعد أناه كما يستبعد الإنسان عصاه. "عندما تقرأ قصة حياة مثل ذلك المفكر فإنك ترتجف أحياناً للفكرة المتعلقة بمعنى أن يكون الإنسان إنساناً". إنه يعيش في الشخص كمتحذلق قد يحقق زواجاً ناجحاً ظاهرياً لكنه لا يتعرف ولا يتحرك بقوة الحب ويكون زواجه لا شخصياً شأن تفكيره، وتكون حياته الشخصية دون شجن ودون صراعات المشاعر، ولا يكون إلا الشخص المتوسط القلق بشأن ما إذا كانت الجامعة ستمنحه أفضل حياة.

وهكذا نجد أن ما ساهم به كيركجور في تأليفه شبه المجهول كمؤلف له هو - حسب مصطلحه - سلسلة من (تواصلات الوجود) على أساس (مجالات للوجود) خمسة وهي مجالات منفصلة: الجمالي، التهكمي، الأخلاقي، الفكه، الديني. ويتركز التنبيه في (حاشية غير علمية) على الشكل الديني للوجود الذي هو عند كيركجور أعلاها، وهنا يطرح المسألة الأساسية عن (حقيقة) أو (زيف) فلسفة

Twitter: @ketab_n

وجهات النظر للحياة. ما هو معيار حقيقة فلسفة للحياة؟ هل كل فلسفات الحياة متساوية على أساس واحد؟ أو أنه من العبث أن نبحث حقيقة أو زيف فلسفة للحياة؟.

جواب كيركجور عن هذا يمكن إدراجه بإيجاز. إذا كان المقصود (بالحقيقة) (الحقيقة الموضوعية) المكافئة للمفهوم العلمي للحقيقة إذن لن يتمكن الإنسان من أن يقول أي شيء عن حقيقة فلسفة الحياة. ومن جهة أخرى إذا كان الإنسان يقصد (بالحقيقة) (الحقيقة الذاتية)، إذن سيكون هناك معنى في التساؤل عن الحقيقة، أي إذا كان الشخص المتسائل يعيش (في الحقيقة) بكليته فلسفته في الحياة. فإذا فهمنا الأمر على هذا النحو فإن كل فلسفة للحياة يمكن أن تكون (حقيقية) بالنسبة للشخص الموجود. هذه الفكرة الحاسمة - والبعيدة المدى في نتائجها - عن (الحقيقة الذاتية) في مجال الحياة قد استكشفها كيركجور من قبل عندما كان شاباً للغاية. فكما ذكرنا من قبل في فصل (الزلزال الأكبر) يكتب في عام ١٨٣٥: "أليست الحقيقة هي أن تعيش من أجل فكرة؟" وينتهي كتاب (إما ... أو) بالكلمات التالية: "الحقيقة التي تنير هي وحدها الحقيقة بالنسبة لك". لكن لم يحدث إلا عندما كتب "حاشية غير علمية" أن وصل كيركجور إلى الاستضاءة النهائية التي عبر عنها بأكبر دقة في الجملة الانفراقية: "الذاتية هي الحقيقة"، في مجال وجهة نظر الإنسان للحياة. بكلمات أخرى: بالإضافة إلى المفهوم العلمي العام عن الحقيقة، الحقيقة (الموضوعية) الصادقة في العلم، أدرج كيركجور مفهوماً آخر للحقيقة هو الحقيقة (الذاتية) وهو مصطلح يدرجه أيضاً الوجوديون اليوم تحت مصطلح (المفهوم الوجودي للحقيقة) وهو مفهوم صادق (لفلسفة الوجود).

فما هو المعيار لهذين المفهومين المختلفين للغاية عن

Twitter: @ketab_n

الحقيقة؟. متى يكون الشئ حقيقياً موضوعياً ومتى يكون حقيقياً ذاتياً؟ أن يكون التصور (النظرية، الفكرة) حقيقياً بشكل موضوعي يعني - كما نعرف - أن التصور يتفق مع موضوعه. فالتصور القائل بأن الأرض مجال حقيقي موضوعي إذا كانت الأرض حقاً) مجالاً. وأما التصور حقيقياً ذاتياً فهو شيء مختلف. إنه يعني أن الفرد الموجود الذي يتصور الفكرة داخلياً وبانفعال يؤمن بأنها حقيقية، أو يختار أن يؤمن بأنها حقيقية بالرغم من أنه لا يعرف شيئاً عن هذا ولا يستطيع أن يعرف شيئاً عن هذا. بكلمات أخرى، إن المعيار (للحقيقة الذاتية) هو انفعالي وارادي. وقد عبر كيركجور عن هذا بأكبر إيجاز في الكلمات التالية: "من الناحية الموضوعية المسألة مسألة التعريفات الخاصة بالفكر، ومن الناحية الذاتية المسألة هي مسألة الباطنية". وهذا يعني بالمصطلح الأحدث: من الناحية الموضوعية المسألة مسألة ما هو معرفي، ومن الناحية الذاتية المسألة مسألة ما هو انفعالي وإرادي. وحتى يمكننا أن نفهم كيركجور - والوجوديين المحدثين - من الأهمية بمكان أن نفهم هذا أو أن نفهم النتائج البعيدة المدى له. ولقد عبر كيركجور عن نظرته الأساسية بدقة كبيرة بالكلمات التالية:

"عندما نبحث الحقيقة (موضوعياً) نتأمل بموضوعية في الحقيقة باعتبارها شيئاً نرتبط به. إننا لا نتأمل في العلاقة بل في واقعة أنها حقيقية، الحقيقة التي بها نرتبط: وعندما يكون هذا الذي به نرتبط يكون هو الحقيقة، الحقيقي، فإن الذات تكون في الحقيقة. وعندما نبحث الحقيقة (ذاتياً) فإننا نأمل بذاتية في علاقة الفرد، وعندما تكون (كيفية) هذه العلاقة في الحقيقة، يكون الفرد في الحقيقة حتى لو كان مرتبطاً بما هو ليس حقيقياً".

Twitter: @ketab_n

ويصور كيركجور هذا التيار من التفكير بمثال رائع لا يمكن نسيانه:

"إذا ولج إنسان يعيش في مسيحية العصور الوسطى بيت الرب، بيت الرب الحقيقي بالتصور الحقيقي عن الرب في معرفته ويصلي فإنه يصلي في اللاحقيقة، والإنسان الذي يعيش في الأرض الوثنية ولكن يصلي بكل انفعال باللاتناهي بالرغم من أن نظرته مثبته على الوثن: فأين إذن تكمن الحقيقة القصوى؟ إن الإنساني يصلي في الحقيقة للرب بالرغم من أنه يعبد الوثن، والآخر يصلي في اللاحقيقة للرب الحقيقي ولهذا فهو يعبد في الحقيقة وثناً".

أو هو يطرح بإيجاز أشد: "موضوعاً (ما) يقال يجري تفصيله، وذاتيا: (كيف) يقال".

يكمن في قلب فلسفة كيركجور عن الوجود مشكلة الوجود وهي مشكلة تخسف أهميتها كل المشكلات الأخرى والتي هي أيضاً المشكلة الرئيسية في أعظم أعماله: هل الوجود الإنساني ينتهي بالموت أم أن هناك وجوداً يعد هذه الحياة؟ تقول المسيحية إن هناك حياة أخرى، وبكل يقين تعد بالخلاص الأبدي. وتنشأ (مشكلة أصلية للوجود) هنا بالمعنى الكيركجوري المميز للكلمة. أولاً، لما كانت مهتمة بالمدى الذي يكون عنده الوجود الإنساني قاصراً على الحياة الزمانية القصيرة أم أنه يمكن تقبل وجود أبدي. ثانياً، لما كانت مشكلة حقيقية، فإننا لا نعرف شيئاً عن حقيقة المسيحية. ثالثاً، لأن ما يختاره الإنسان ليؤمن - في رأي كيركجور - يحدد الموقف الكلي للفرد تجاه الحياة حتى أن الإيمان أو عدم الإيمان بخلاص أبدي "يبدل وجود الفرد بتمامه". وقد عرض جوهانز كليماكوس مشكلة الوجود هذه بالكلمات التالية:

"أنا، جوهانز كليماكوس، مواطن من مواطني هذه

Twitter: @ketab_n

البلدة، أبلغ في الوقت الحالي ثلاثين عاماً، وأنا نوع عادي من البشر مثل معظمنا، فيَّ قدر طيب كبير يسمى الخلاص الأبدي، ولقد سمعت أن المسيحية تمنح الإنسان هذه الطيبة والآن أحب أن أتساءل كيف أدخل في علاقة مع هذه العقيدة. لقد سمعت مفكراً يقول: "أي فرض فريد، العبث المخيف في القرن التاسع عشر هذا المعنى بتاريخ العالم الجريء الذي يعطي أهمية لنفسه الصغيرة التعسة". لكنني أعرف نفسي متحررة من أي خطيئة في هذا المضمار، فلست أنا الذي بنفسه قد أبرز مثل هذا الفرض بل هي المسيحية التي ترغمني على هذا. إنها تطرح تأكيداً مختلفاً على نفسي الصغيرة التعسة وعلى كل نفس هامة أخرى مماثلة، حيث تريد أن تباركه للأبد إذا كان سعيداً لكي يدخل فيها".

وينوه جوهانز كليماكوس بنورانية شديدة أنه ليس من الممكن البرهنة على حقيقة المسيحية تاريخياً أو بالتأمل، فالمسيحية هي وسوف تظل دائماً مسألة إيمان لا معرفة. بل والأكثر من هذا أن جوهانز كليماكوس يظهر أن مسألة الإيمان هذه مليئة بالتناقضات الظاهرية وأشكال العبث. ويعبر كيركجور في جملة تجريدية ومركزة عن (العبثية) الأساسية في الإيمان المسيحي على النحو التالي:

"تتقرر البركة الخالدة للفرد خلال الزمن من خلال علاقته بشيء تاريخي يكون تاريخياً، بشكل أنه في مكنونه يكون متمثلاً على نحو تاريخي بسبب طبيعته، ويجب أن يكون هكذا بسبب العبث".

وما يتضمنه هذا يجب قراءته بكتابات كيركجور. وهنا لا يمكننا إلا أن نلاحظ أنه ما من مفكر ديني آخر قد فصل المعرفة عن الإيمان بهذا القدر كما لا يوجد مفكر ديني آخر قد أكد الجانب الانفراقي في الإيمان. وتبدو شروحات كيركجور أشبه بتطوير لقول الأب ترتليان الشهير: "أنا

Twitter: @ketab_n

أؤمن لأن هذا محال". ويستجيب كيركجور بهذا للباطنية والعاطفة. إن الإنسان لا يستطيع "أن يدخل في المسيحية" عن طريق الفكر أو العقل أو التأمل أو العلم. الأمر لا يتم إلا بالإيمان، بالرغم من كل عقل. وعنده أن من يصل إلى الإيمان أو بالأحرى بالنسبة لمن (يختار) الإيمان بهذه الطريقة فإن الإيمان ينفذ إليه ويبدل وجود الفرد. فالمسيحية عنده حقيقية ذاتياً، حقيقية وجودياً. وما يتمسك به كيركجور بالنسبة لحقيقة الفلسفة المسيحية عن الحياة صادق بالمثل على كل فلسفات الحياة. الذاتية هي دائماً الحقيقة. لكن لا توجد فلسفة أخرى للحياة تحتوي على مثل هذه الفروض الانفراقية عن المسيحية.

ويحتوي الجزء الأخير من (حاشية غير علمية) على تحليل نفاذ للمجال الديني يتمايز فيه شكلان من أشكال الدين. الشكل الأول ذو طبيعة إنسانية يسميه النزعة الدينية(أ) والدين اليوناني القديم هو مثال على هذا الشكل. والشكل الثاني هو النزعة الدينية(ب) والذي يركز على طابع النزعة الدينية المسيحية بصفة خاصة. وعند كيركجور أن المسيحية هي دين لا إنساني لأنها تقيم تعارضاً وتقابلاً بين الطبيعة الإنسانية ومطالبها الطبيعية من أجل السعادة في هذه الحياة وتطلب موتاً بالنسبة للعالم وتركيزاً على الحياة بعد الموت. كل هذا بالإضافة إلى (عبث) الوجود من وجهة النظر العقلية.

ولا نجد إلا أعمالاً قليلة في تاريخ الفلسفة تحتوي مثل هذا الثراء في الفكر كما نجد (حاشية غير علمية). ويمكن أن يقال إن المشكلات ووجهات النظر التي يطرحها الكتاب بالرغم من الوجوديين المحدثين لم يتم استنفادها حتى يومنا هذا، كما لم يتم جلاؤها أيضاً. والكتاب هو مصدر دائم للإلهام.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

15

هجوم مجلة [القرصان]

إن المؤلفات المجهولة المؤلف قد أثارت عاصفة كبرى في الدوائر الأدبية في ذلك الوقت في كوبنهاجن. وفي هذه الدوائر الأدبية كان معروفاً من هو المؤلف بالرغم من أن كيركجور حافظ على السرية بحمية حتى عام ١٨٤٦. وفي خريف عام ١٨٤٥ قبل بضعة أشهر من نشر (حاشية غير علمية) كتب الناقد الألمعي ب. ل. موللر عرضاً للأعمال المجهولة المؤلف الموجودة. وقد أثار هذا نزاعاً عرف (بنزاع القرصان) ترك أثراً عميقاً - مهما يكن - على السنوات العشر الأخيرة في حياة كيركجور القصيرة.

إن العرض الذي قدمه ب. ل. موللر يحتوي على الكثير من المرح والإعجاب وخاصة بالنسبة لوصف كيركجور للمرحلة الجمالية، غير أن الناقد اتخذ موقفاً متشككاً من كيركجور بالنسبة للشخصية الأخلاقية والدينية، وسمح لنفسه أن يدلي ببعض الملاحظات ذات الطبيعة الشخصية والحادة. وقد كرس ب. ل. موللر انتباهه أساساً للجزء الذي عنوانه "مذنب أم غير مذنب؟". لقد عرف دون شك أن هذا الكتاب هو تناول شاعري - واقعي لقصة خطوبة

Twitter: @ketab_n

كيركجور. ولقد كتب عن البطل الرئيسي وهو كويدام أنه فقد كل ما يشكل شخصيته: الشعور والعقل والإرادة والاختيار والفعل والقوة العصبية والعضلية. وكل شيء جرى التضحية به من أجل الجدليات العقيمة. وقد دفع هذا كويدام إلى أن يضع البطلة في موضع العذاب التجريبي حتى أنه ليدهشنا أنها لم تجن أو لم تغرق نفسها. إنه يقول:

"لو سمح للعقل السليم أن يخطو هنا فربما أمكن له أن يقول بتجرد وقح: إذا أردت أن تعتبر الحياة مشرحة ونفسك جثماناً، حسناً، مزق نفسك إرباً كما تشاء، وطالما أنك لا تؤذي الآخرين فإن البوليس لن يتدخل ويتدخل في شؤونك. ولكن أن يصطاد الإنسان شخصاً آخر في نسيج عنكبوته ويشرّحه حياً أو يعذب نفساً شيئاً فشيئاً باسم التجربة فهذا ما ليس مسموحاً به لك، إلا في حالة الحشرات، ولكن أليست هذه الفكرة ملينة بالرعب وإنها منافية للطبيعة الإنسانية السليمة؟".

في الحقيقة اتخذ ب. ل. موللر وقفة أخلاقية ضد كيركجور ولابد أن الأمر ازدادت إثارته خاصة وأن ب. ل. موللر كانت له سمعة أنه يحيا حياة (جمالية) متحللة على غرار فهم كيركجور للكلمة مثل دوان جوان. وفي التو كتب كيركجور مقالاً مليئاً بالاحتقار ومشبعاً بالملاحظات التي تثير الشك حول ب. ل. موللر في الصحيفة اليومية البارزة (الوطن). وفي نهاية المقال عبر عن الرغبة التالية: "أواه لو أظهر في مجلة (القرصان)! من الصعب حقاً على مؤلف مسكين أن يشار إليه على أنه الشخصية الوحيدة في الأدب الداينماركي الذي لم يشتم فيه".

لقد كانت (القرصان) مجلة أسبوعية صغيرة لكنها واسعة الانتشار أريد بها أن تسخر وغالباً بشكل فج من الشخصيات البارزة في ذلك الوقت. ولقد شنت (حملة من

Twitter: @ketab_n

الرعب) ويقال في ذلك الوقت أن الناس كانت تخشى أن "يأتي اسمها في (القرصان)". كانت المجلة قد بدأت عام ١٨٤٠ على يد شاعر شاب واعد هو مير جولد شميت الذي كان لايزال يرأس تحريرها. وكان ب.ل. موللر مساهماً في الكتابة فيها بين الحين والآخر. وكان جولد شميت الشاب ملينا بالإعجاب بكيركجارد وفي مناسبات عديدة خلد اسم (فيكتور ارميتا) في صحيفته. ولابد أن كيركجور اعتقد أنه بإبداء سخريته رسمياً من أن يُسب في (القرصان) قد وضع جولد شميت وب. ل. موللر في مأزق حرج. فماذا عليهما أن يفعلا؟.

غير أن جولد شميت استجاب لهذه السخرية، فمن كانون الثاني (يناير) ١٨٤٦ تفرغت مجلة (القرصان) لتسفيه كيركجور كمؤلف وكفرد. وغالباً ما كانت تصاحب المقالات القصيرة بصور كاريكاتورية واستمر الهجوم فترة طويلة. وكان التأثير على كيركجور شاملاً ويتضح هذا من عباراته العديدة في اليوميات من جولد شميت و(وقاحته) والتي يسميها أيضاً (الخسة الأدبية). ولما كان شاباً للغاية فقد كان يمضي الكثير من الوقت متجولاً في الشوارع وكان بيدي غراماً شديداً بالتحدث مع الناس العاديين. وكان كريماً مع الشحاذين. وحسب عباراته فقد تغيرت - حسب تعبيراته - علاقاته مع "رجل الشارع". فقد اشتهر في المدينة. بأنه "المتمركز الذاتي شبه المجنون" وكان الأولاد في الطرقات يصيحون خلفه (إما ... أو) وكانت المومسات يسمينه مؤلف (مذكرات مغوي البنات) وكان سهلاً على رسام مجلة (القرصان) أن يسخر من مظهر كيركجور فلم يكن منحني الكتفين فقط بل كان أيضاً شبه أحدب منحني الظهر، وكانت ساقاه رفيعتين بشكل ملحوظ وكانت مشيته غريبة وغير منتظمة. والآن أصبح عذاباً بالنسبة له أن يمشي في الطريق. وتدريجياً بدأ يشعر

Twitter: @ketab_n

بأنه أشبه "بالشهيد الذي يسخرون منه حتى الموت" ولم يقف أحد في صفه لكي يناضل ضد (القرصان) وتراجع "الحسد البارز المتزايد".

لقد بدأ كيركجور يشعر بازدياد عزلته وازدادت علاقته بالمسيحية تكثيفاً في السنوات التالية. والشكل القاسي للمسيحية الذي تعلمه وهو طفل أصبح هو السائد لديه. لقد ماشى تجربة الشر في العالم بشكل شخصي من خلال مضايقة مجلة (القرصان)، لقد بدأ يزداد شعوراً بأنه شهيد. وأصبح لحنه الأساسي لدرجة متزايدة هو "أن يفهم نفسه في المعاناة" إن المثال المسيحي يموت في العالم، أصبح شيئاً مؤقتاً. وحتى الأحداث القومية الكبرى مثل الحرب الدانيماركية الألمانية في الفترة من ١٨٤٨ - ١٨٥٠، لم تعد تعنيه: "إنني لا أعرف سوى خطر واحد هو خطر التظاهر الديني". وكان دستور الحرية عام ١٨٤٩ غير هام بالنسبة له أيضاً لقد كان محافظاً في السياسة وكان ممتلئاً سخرية تجاه المبدأ الديمقراطي الذي يرجع شرعية الاختيار إلى أصوات الغالبية في نظام الاقتراع. وهناك كتابان عميقان من هذه السنوات سوف نذكرهما ببعض التفاصيل.

Twitter: @ketab_n

16

المرض حتى الموت

في تموز (يوليو) ١٨٤٩ نشر كتاب "المرض حتى الموت" وكان في طبعته الأصلية لا يشغل إلا ١٣٦ صفحة ولكن في هذه الصفحات يتركز ثراء فريد من الملاحظات النفسية، ورصيد ضخم بالمثل من التأملات الفلسفية واللاهوتية القائمة على هذه الملاحظات. وكتب كيركجور في كانون أول (ديسمبر) ١٨٤٩ في اليوميات أن هذا الكتاب هو أصدق وأكمل مؤلفاته. وقد يتفق معه الكثيرون في هذا وخاصة أنه يمتلئ بأكثر ملاحظاته عمقاً.

والموضوع الأساسي في الكتاب هو (اليأس). ففي رأي كيركجور أن اليأس ظاهرة ليست نادرة الحدوث بل بالعكس، كل فرد بصفة خاصة هو إلى حد ما في حالة يأس. لكنه كثيراً ما يكون على غير وعي بيأسه. وهناك فصل في الكتاب يتناول عمومية اليأس وهو على النحو التالي:

"كما يقول الطبيب أنه ربما لا يوجد شخص في صحة كاملة فيجب أن يقول الإنسان بالمثل أنه لا يوجد مخلوق

Twitter: @ketab_n

واحد لا يعيش في بعض اليأس، وليس لديه بعض من القلق والزعزعة ونقص التناغم وبعض القلق من الأشياء المجهولة أو من شيء لا يجرؤ أن يتعرف عليه، قلق من بعض إمكانيات الحياة أو قلق من نفسه حتى أنه، كما يقول الطبيب أن الإنسان قد يستمر في الحياة والمرض في جسمه، فإن الإنسان يعيش ومعه المرض، حاملاً معه مرض الروح وبلمحة سريعة عارضة، وبقلق يند عن التفسير حتى بالنسبة له، يجعله يدرك أنه فيه. وعلى أي حال، لم يعش إنسان ولا يوجد شخص حتى خارج العالم المسيحي ليس يائساً، ولا يوجد شخص في العالم المسيحي ليس هو حقاً مسيحياً، وطالماً أنه ليس كذلك تماماً فإنه يكون إلى حد ما في حالة يأس.

ربما تبدو هذه الملاحظة للكثيرين، بها مفارقة ومبالغة ونظرة هي بالأحرى كئيبة وباعثة على اليأس. ولكن ليس هناك شيء من هذا على الإطلاق. إنها ليست كئيبة بل بالعكس إنها تحاول أن تلقي الضوء على ما يتركه المرء عادة في إطار محدد من الغموض، وهي ليست باعثة على اليأس بل هي بالعكس ترفع الإنسان لأنها تنظر إلى كل إنسان على أنه ذات تتطلب منه أن تكون روحاً، كما أنها ليست ملينة بالمفارقة، بل هي على العكس افتراض أساسي متماسك ومن ثم ليس فيها مبالغة أيضاً.

وبالعكس فإن النظرة العادية لليأس تقف عند المظهر، ومن ثم فهي نظرة مصطنعة، بل هي بالأحرى ليست نظرة على الإطلاق. إنها تفترض إن كل شخص يجب أن يعرف على نحو طبيعي ما إذا كان في حالة يأس أم لا، ومن ثم فمن يقول أنه كذلك يعد في حالة يأس، على حين من يظن أنه ليس كذلك لا يعتبر في حالة يأس. ونتيجة لهذا يصبح اليأس ظاهرة أكثر ندرة بدل أن تكون ظاهرة

Twitter: @ketab_n

عادية كاملة. ليس أمراً استثنائياً أن يكون في حالة يأس، كلا، إن الاستثناء النادر، النادر جداً ألا يكون الإنسان في حالة يأس.

غير أن النظرة السوقية ليس لديها إلا فهم ضعيف لليأس. فهذه النظرة - ضمن أشياء أخرى - (وإذا ذكرنا شيئاً واحداً إذا فهم حقاً فسوف يجعل آلاف الناس بل ملايين الناس في الحقيقة تحت سطوة اليأس) - هذه النظرة كغض الطرف، إنها تغض الطرف كلية عن كون المرء ليس كذلك هو بالضبط شكل من أشكال اليأس، وهذا يعني ألا يصبح المرء على وعي بهذا. وبالمعنى الأكثر عمقاً الأمر نفسه مع النظرة السوقية في تحديد اليأس تماماً كما تحدد ما إذا كان الإنسان مريضاً أم لا - بالمعنى الأعمق - فالنظرة السوقية لديها فهم أقل بطبيعة الروح (التي بدونها لا يستطيع الإنسان أن يبدأ في فهم اليأس) عن المرض والصحة ويفترض عادة أن الشخص عندما لا يقرر بنفسه أنه مريض يكون على ما يرام ولا نذكر عندما يقول هو نفسه بالعقل أنه على ما يرام. والطبيب من جهة أخرى يعتبر المرض على نحو مختلف. ولماذا؟ لأن الطبيب لديه تصور محدد ومتطور عن الصحة واستناداً إلى هذا يختبر حالة الشخص. إن الطبيب يعرف أنه كما أنه يوجد مرض يكون مجرد خيال، كذلك توجد حالة أيضاً للصحة، ولهذا فإنه في الحالة الأخيرة يطبق أولاً الوسيلة التي تجعل المريض يكشف عن نفسه. والطبيب - لأنه طبيب (ولهذا فإنه إنسان كفء) - يضع ثقة عمياء فيما يؤكده له مريضه عن صحته. فإذا كان كذلك، وهو أن ما يقوله كل فرد عن صحته سواء كان على ما يرام أم كان مريضاً، وسواء كان يعاني أم لا وهكذا، ويجب الاعتماد على أقواله كلية إذن فإن الطبيب وهم ولا حاجة إليه. إن من الضروري للطبيب لا أن يصف العلاجات فحسب بل أن يعرف أولاً وقبل

Twitter: @ketab_n

كل شيء ما إذا كان الشخص المفروض فيه أنه مريض مريضاً حقاً، أو ما إذا كان الشخص المفروض فيه أنه على ما يرام ربما يكون في الحقيقة مريضاً. إن طبيب النفوس هو في الوضع نفسه بالنسبة لليأس. إنه يعرف ماهية اليأس، إنه يعرفه ومن ثم فهو ليس قانعاً عندما يعلن الشخص أنه ليس في حالة يأس وهو ليس قانعاً عندما يعلن الشخص أنه في حالة يأس. فبمعنى ما من المعاني الناس ليسوا دائماً في حالة يأس حتى لو قالوا أنهم كذلك. فالإنسان قد يتظاهر باليأس وقد يخطئ الإنسان ويضفي الغموض على اليأس الذي هو حالة من حالات الروح، فيخلط بينه وبين جميع أنواع الانهيار المؤقت أو الأسى الذي يولي دون أن يصبح يأساً. وعلى أي حال، فإن طبيب الروح ينظر في هذا حقاً، أيضاً كأشكال لليأس، وهو يرى أن هذا محبة، لكن هذه المحبة نفسها هي اليأس، وهو يرى تماماً أن هذا هو الانهيار - وهكذا، وليس هذا بذي أهمية كبرى - ولكن ألا يكون هذا ولا هذا سوف يكون بذي أهمية، هو بالضبط يأس".

وعند كيركجور أشكال مختلفة عديدة لليأس. وهو بمعرفته الصميمية بالنفس يفرزها ويقرر دواعيها المفترضة. ويمكن أن يقال باللغة العلمية الحديثة إن هذا الكتاب هو إلى حد معين سيكولوجي علاجي، وهذا هو أكبر شيء حيوي في النهاية. إن كيركجور يفسر اليأس على أنه "مرض الروح، مرض النفس". وهو يتساءل: كيف يمكن علاج هذا المرض؟ أي بتعبير آخر: كيف يمكن محو هذا المرض؟ ولكن يمكن فهم التفكير الاستدلالي في هذا الكتاب المعقد للغاية المليء بالجدل التأملي والفلسفة أن من الضروري الكشف عن بعض فروض كيركجور الرئيسية.

Twitter: @ketab_n

إن سورين كيركجور إنسان (روحاني) أو بدقة أكبر أنه روحاني (مزدوج) فعنده أن الإنسان "مركب من الجسم والروح". و(الروح) عنده متطابقة مع (النفس). أن تمتلك نفساً، أن تكون نفساً هما أهم الخصائص المميزة وأكبر شيء له دلالة عن الإنسان. وتلك النفس التي لدى كل إنسان منفصل هي نفس عينية، هي نفس فردية، هي نفس خاصة به. ومن الصعب أن نجد شخصين متشابهين تماماً عقلياً وجسمانياً. ولكن بالرغم من هذه الاختلافات، فإنه ينطبق على كل فرد أن نفسه قد (أعطيت) له باعتبارها (مهمة) ويقوم هذا في (تقبل) و(تطوير) النفس المعطاة.

فما المقصود بأن النفس التي لدى الإنسان قد أعطيت له؟ عن هذا التساؤل يعطي (الإنسان الطبيعي) و(المسيحي) جوابين مختلفين. والمقصود بالإنسان الطبيعي هو الإنسان الذي وهو في طريق الحياة يظل حياً بالتجربة والتدبر العقلي على أساس التجربة. والفيلسوف ذو النزعة الإنسانية هو مثال على الإنسان الطبيعي الذي يقيم إلى حد ما تأملاته عن الحياة على أساس التجربة. أما المسيحي فهو يختلف اختلافاً جذرياً عن الإنسان الطبيعي. وأساس نظرته في الحياة تقوم على الكشف الوارد في الكتاب المقدس. وقد يقال إن النفس تُعطي للإنسان الطبيعي من جانب الطبيعة. وهي تُعطى للمسيحي من جانب الله. وهاتان النظريتان المختلفتان قد تفضيان إلى نتائج هامة بالنسبة لليأس. ومقابل الفرق بين الإنسان الطبيعي والمسيحي ينقسم كتاب "من المرض حتى الموت" إلى قسمين: القسم الأول يتناول أساساً اليأس عند الإنسان الطبيعي. والقسم الثاني: يتناول اليأس عند المسيحي.

إن (الصيغة الأساسية لليأس كله) هي نفسها بالنسبة للإنسان الطبيعي والمسيحي. وهذه الصيغة هي على النحو

Twitter: @ketab_n

التالي: (اليأس هو اليأس تجاه نفس الإنسان، تجاه ذاته) وهكذا يربط كيركجور ربطاً وثيقاً بين (النفس واليأس). للوهلة الأولى قد يبدو هذا داعياً للدهشة. إن من ييأس يبدو أنه "على نحو طبيعي - يأس من (شيء ما) بمعنى (شيء ما خارج نفسه). إن الفتاة اليائسة بسبب الحب تيأس بشأن فقدان محبوبها، لأنه مات أو كان غير مخلص لها. هذا هو ما يبدو للوهلة الأولى. لكن هذه ليست إلا بداية اليأس، إنه أشبه بالطبيب عندما يقول عن المرض إنه لم يكشف عن نفسه بعد. والشيء التالي هو اليأس المعلن الذي يسمى أيضاً اليأس الحقيقي الذي يكشف نفسه بعد. والشيء التالي هو اليأس المعلن الذي يسمي أيضاً اليأس الحقيقي الذي يكشف نفسه عند التأمل الأوثق على أنه يتألف من اليأس (تجاه ذات الإنسان). فالفتاة التي تعاني من فقدان حبيبها تيأس تجاه ذاتها، والأمر يصبح بالنسبة لها طاعوناً لكونها أصبحت نفساً (بدونه). إن النفس التي كان يجب أن تكون كنزها قد أصبحت خواء لا يطاق عندما مات (هو) أو أصبحت مقززة لها عندما تذكرها بأنها خُدعت.

فما المقصود بأن يتقبل الإنسان نفسه؟ بإيجاز: خلال فترة الشباب يكتسب الفرد وعياً شعورياً واضحاً معقولاً بنفسه وخصائصها، ومن هنا تظهر معرفة بالذات واضحة ومعقولة بمعنى فهم النفس. وهو يتقبل هذه النفس عندما يتضح له أن هذه النفس هي نفسه (الخاصة به) وأنه خلال مسلك حياته مسؤول عن نفسه. هذا الاعتبار واضح بذاته عند كيركجور وواضح بذاته أيضاً بالنسبة له أن الوعي الذاتي، بمعنى الوعي بالذات أو النفس مصاحب بوعي بالنفس وقد أعطيت له (كمهمة) أو (كرسالة). المسألة مسألة تطوير النفس المعطاة.

ولسوء الحظ أن كيركجور لم يعط في أي موضع آخر

Twitter: @ketab_n

بياناً مذهبياً بما يفهمه بالضبط من تطوير النفس والذي يسميه أيضا تطور النفس. ولكننا نجد في مواضع عديدة أنه يتناول المسألة عابراً، وواضح أنه صاغ آراء محددة ومؤكدة عن موضوع تطور النفس كما فعل بالنسبة لكل شيء آخر. وبصفة عامة يمكن القول إن هناك عند كيركجور (قوانين) محددة لتطور النفس. فإذا لم نراعها فإن اليأس ينطلق. وهو عنده شعار هام عن هذا: يجب ألا نستخف بالنفس.

أولاً، هناك القوانين الأخلاقية. لقد أصبح كيركجور مقتنعاً منذ البداية وبشدة أن "ما هو أخلاقي يلقي بثقله على الإنسان". وإذا تحطمت قوانين الأخلاق فإن اليأس من الندم سرعان ما ينشأ. والنفس الصحية عند كيركجور هي أولاً وقبل كل شيء نفس أخلاقية. وعند المسيحي ترجع قوانين الأخلاق إلى إرادة الرب. والوصايا العشر هي أكبر الأمثلة على القوانين الأخلاقية التي ترجع إلى الدين. ومثل هذا الرجوع الديني لا يوجد عند الإنسان الطبيعي، ولكن من الواضح أن كيركجور يؤمن بالفعل أن هناك قوانين أخلاقية محددة للإنسان الطبيعي وهي تكون الأخلاق الإنسانية.

ثانياً: هناك قوانين أخرى لتطور النفس بجانب قوانين الأخلاق والدين، وهي قد تسمى بالقوانين الصورية. وهي لا تلقى بتحريم محدد أو وصية مثل الأخلاق والدين، بل هي تهتم بالحالة التي تمارس بها النفس رسالتها ومهامها. هذه القوانين الصورية ليست بذات أهمية كبرى في كتاب (المرض حتى الموت). ولكن هناك ملاحظة من بين ملاحظات كيركجور الفكرية المثيرة يجب إدراكها بإيجاز، كشهادة على كيفية انشغاله تماماً بموضوع تطور النفس حتى خارج مجالي الأخلاق والدين.

Twitter: @ketab_n

الإنسان عند كيركجور إذا تحدثنا سيكولوجياً، هو كائن يملك الفهم والشعور والإرادة. وبمعزل عن التطور الخلقي والديني للنفس هناك أيضاً تطور للنفس في المجالات الثلاث السابقة. غير أن هذا التطور قد يكون في الاتجاه الخطأ ويفضي إلى ما يسميه كيركجور الشخص (المتعصب). أو الشخص (اللاإنساني).

فماذا عن تطور الفهم؟ مما يتم النصح به ضرورة زيادة معرفة الإنسان وفهمه. كل إنسان لابد أن يتفق حول هذه المسألة فالمعرفة تُقدر تقديراً رائعاً، وليست المعرفة العملية المفيدة وحدها بل أيضاً المعرفة النظرية الخالصة. ومع هذا فإن أهمية الفهم عند كيركجور - عندما يقال كل شيء - يجب أن تقوم على هذا: كلما ازداد فهم النفس ازداد فهمها لنفسها بالمثل. وكما جاء من قبل، إن الهدف الأساسي في الحياة هو تطور (النفس). ومن ثم يجب أن نعلي من شأن الحقيقة القائلة إن الدرجة المرتفعة للفهم متماثلة مع درجة التحقق الذاتي. "فإذا لم يحدث هذا يصبح الفهم كلما زاد نوعاً من الفهم اللاإنساني ونتيجة لهذا تُسخر النفس الإنسانية مثل الناس المسخرين في بناء الأهرامات". وهنا يشار إلى بناء العالم للعلوم. إن العالم يمكن أن يصبح (متعصباً) عندما يفقد نفسه أكثر خلال عمله للفهم.

فماذا بشأن تطوير الشعور؟ مما يتم النصح به أيضاً هو زيادة وتطوير حساسية الإنسان. غير أن هذا التطور أيضاً يمكن أن يصبح لا إنسانياً ومتعصباً عندما تمتد الحساسية لتشمل المزيد من المجالات. ومن ثم قد يحدث للنفس أن تصبح أكثر (ضعفاً). الحساسية يمكن "أن تصبح نوعاً من الحساسية التجريدية والتي لا تمت لأي شخص بل تصبح مشاركة في مصير تجريد من التجريدات، في الإنسانية (المجردة) علي سبيل المثال. وكما أن الشخص المصاب

Twitter: @ketab_n

بالروماتيزم ليس متحكماً في مشاعره الجسمانية لأنها في قبضة الريح والطقس، حتى أنه يشعر رغماً عنه في داخله بأي تغير في درجة الحرارة وما إلى ذلك، فالأمر كذلك مع الشخص الذي أصبحت مشاعره متعصبة بشكل يجعله لا متناهياً، بل بالطريقة التي تجعل لديه مزيداً من أن يصبح نفسه لأنه يزداد فقداناً لنفسه".

فماذا عن تطور الإرادة؟ يعزو كيركجور الأهمية القصوى لإرادة النفس. وتطويرها. "كلما زادت الإرادة زادت النفس. والشخص الذي بلا إرادة على الإطلاق، لا يكون نفساً، لكن كلما زادت إرادته إزداد وعيه الذاتي بالمثل". إن الوعي الذاتي هنا يعني الوعي بالنفس. إن الإرادة تعبر عن نفسها في الهدف والقرار. غير أن الإرادة تستطيع أيضا أن تصبح متعصبة حتى أن النفس تضعف ويزداد ضعفها. وهذا يحدث عندما يصبح هدف الإرادة بشأن الهدف والاختيار تجريدياً ونانياً. حينئذ تفقد الرسالة طابعها العيني والقريب. ويبدو الأمر كما لو كانت النفس تفقد قبضتها على الرسالة أو ذلك الجانب من الرسالة أو المهمة، الذي يجب أن يؤدي الآن في التو في هذا اليوم نفسه وهذه الساعة نفسها وهذه اللحظة نفسها.

ويكتب كيركجور، ملخصاً الأمر: "ولكن الآن قد أصبح الشخص، متعصباً على هذا النحو، ومن ثم يكون في حالة اليأس فإنه يستطيع أن يستمر في الحياة، ويكون إنساناً ظاهرياً مشغولاً بالأشياء الوقتية ويستطيع أن يتزوج وينجب أطفالاً ويكرم ويصبح إنساناً بارزاً، وربما تسير الأمور دون أن يلاحظ أحد إنه فاقد للنفس بأعمق ما في الكلمة من معنى. والعالم لا يعبأ كثيراً بمثل هذه الأشياء، فالنفس هي شيء نادر ما يجري التساؤل عنه في العالم، وهي شيء يكون من الخطر للغاية السماح للإنسان بأن

Twitter: @ketab_n

يشعر بأن له نفساً. والخطر الأكبر وهو فقدان الإنسان لنفسه يمكن أن يمر في العالم بهدوء كما لو لم يكن شيء قد حدث. وليس هناك فقدان آخر يمكن أن يمر بهدوء بمثل هذه الطريقة، فكل فقدان آخر مثل الذراع أو الساق أو خمسة دولارات أو زوجة إلخ .. هذا هو ما تتم ملاحظته".

ونعود إلى نقطة الانطلاق وإلى لب المسألة: اليأس هو اليأس، اليأس على ذات الإنسان. وهذه الصيغة الأساسية عند كيركجور يمكن تفصيلها فنقول إن اليأس هو إما (الرغبة بيأس في ألا يكون الإنسان نفسه أو الرغبة بيأس أن يكون الإنسان نفسه). هذا التصنيف (الجدلي) المتناقض هو بطبيعة الحال تجريدي للغاية، لكن كيركجور يعرف هنا - كما هو شأنه دائماً - كيف يملأ فروقه التجريدية بالفهم الإنساني العيني والفعال.

إن الشخص الذي (لا) يريد أن يصبح نفسه هو شخص لا يتقبل ولا يريد أن يمتلك النفس التي أعطيت له ويطورها، إنه يريد أن يهرب من هذه النفس، إنه يريد نفساً أخرى، نفساً جديدة. وهكذا ربما يصور لنفسه هذه النفس الجديدة والأخرى التي يريدها، إنها نفس "قد اخترعها بنفسه" حتى أنه لا يفهم أو أنه يتصرف بوعي كامل متحدياً القانون الأساسي لتطور النفس، وهو أن مهمته هي بالضبط قبول النفس المعطاة له ومعرفتها وتطويرها. والنتيجة هي اليأس. فالشخص الذي يشبه هذا الإنسان يصبح غريباً بالنسبة لنفسه وفي النهاية قد لا يكون لديه يأس آخر سوى "التخلص من نفسه ويصبح لا شيء". حينئذ يكون على شفا الانتحار. وكيركجارد يسمي الناس الذين لا يريدون أن يكونوا هم أنفسهم الضعفاء. واليأس الناتج يسميه (يأس الضعف).

والتعريف الثاني هو .. أن تريد بيأس (أن تكون) نفسك.

Twitter: @ketab_n

إن الكلمات مثيرة لأن الرسالة كانت بالضبط تملك النفس المعطاة. وعلى أي حال، المسألة بسيطة تماماً عندما تنتقل من المجرد إلى العيني. والنقطة هنا هي أن النفس التي تعطى للإنسان هي دائماً نفس ناقصة نفس (في حالة جنينية) تحتاج إلى تطويرها. والشخص الذي يريد بيأس أن يصبح نفسه، يفهمه كيركجور على أنه شخص يريد أن يؤكد ويواصل من خلال نفسه المعطاة، بالضبط كما هي معطاة له بالرغم من أشكال نقص هذه النفس. وهذه حالة تدل على الطبيعة المتحدية. ويمكن أن يقال إن هذا الشخص يتقبل نفسه المعطاة لكنه لا يتقبل المطالب لتطوير النفس. إن النفس المعطاة الناقصة تشق طريقها. وكيركجارد يسمي هذا النمط من اليأس (يأس التحدي).

ويصف هذا بإيجاز التعريفين الخاصين لليأس. وزيادة على ذلك يشير كيركجور إلى أنه عند الفحص الأدق يجب اعتبارهما ضدين نسبيين، وإن التعريف الخاص بألا يريد الإنسان بيأس - نفسه - هو في النهاية أعمقها.

وفي حالات عديدة نجد أن الإنسان الطبيعي والمسيحي قد تكون لهما الأسس نفسها لليأس. وعلى أي حال، فإن التحليل الأدق يكشف عن أنه في مثل هذه الحالات من اليأس فإنه مختلف مع هذا عند المسيحي عن الشخص الطبيعي. وفي حالات أخرى فإن أسس اليأس أو اللايأس تتباين تبايناً شديداً نتيجة النظرة المنحرفة عن الحياة لدى هذين الشخصين. والمثال الصارخ على هذا هو الموقف تجاه الموت.

هناك أنواع وقتية عديدة من المعاناة: المسغبة، الحاجة، المرض، البؤس، الأسى، المصاعب، أشكال العذاب، الاضطرابات الذهنية، الأسف، الحزن. كل هذه الأمور يمكن أن تكون موضع اليأس لدى الإنسان الطبيعي وإلى

Twitter: @ketab_n

هذه الأمور يمكن أن نضيف فكرة الموت. وكقاعدة عامة فإن الإنسان الطبيعي يؤمن بأن الحياة مع الموت تنتهي. "إذا تكلمنا من الناحية الإنسانية" الموت هو آخر الأشياء. وطالما أن هناك حياة هناك أمل. هكذا يفكر الإنسان الطبيعي، وكقاعدة عامة يعد الموت أكبر الشرور بالنسبة له.

والمسيحي - أيضاً - أليف بالتأكيد بالمعاناة الوقتية. لكنها تتخذ عنده طابعاً مغايراً عما لدى الإنسان الطبيعي. فإذا (تكلمنا مسيحيا) ليس الموت هو نهاية كل شيء. الموت ليس إلا حادثاً صغيراً داخل ما هو أبدي، إنه حياة أبدية. إذا تحدثنا على نحو مسيحي فإن هناك في الموت مزيداً من الأمل اللامتناهي أكثر مما في الحياة في ذروة صحتها وقوتها، والمعاناة الوقتية ليست شيئاً إزاء فكرة الخلود. هذه هي الطريقة التي يفكر بها المسيحي.

ولهذا فإن الإنسان الطبيعي والمسيحي لا يفهم كل منهما الآخر حول هذه المسألة كما كان الأمر بالنسبة لليأس. بالنسبة للمسيحي، الأشياء التي يعدها الإنسان الطبيعي أشكال رعب في الحياة هي نكتة. إن العلاقة بين النمطين هي مثل التي بين الطفل والرجل. إن الأشياء التي تسبب الرعب للطفل لا تعد شيئاً بالنسبة للإنسان. إن الطفل لا يدري ما هو الرعب الحقيقي أما الرجل فهو يعرف هذا وهذا هو ما يرعبه، إن المسيحي هو الإنسان الذي يعرف شيئاً (مرعباً) (لا) يعرفه الإنسان العادي. وهذا يمكن إن يلقي بالمسيحي في هوة من اليأس العميق والذي يسميه كيركجور من المرض حتى الموت. وهذا هو ما يردنا إلى العنوان الغريب للكتاب.

عندما نتحدث عن المرض الذي يفضي إلى الموت في الحديث العادي نقصد مرضاً ينتهي بالموت. والمرض

Twitter: @ketab_n

الذي يفضي إلى الموت مرادف للمرض المميت. وفي قصة انبعاث أليعازر من بين الموتى يستخدم التعبير بهذا المعنى، لكن يمكن أن يفهم أيضاً على أن له معنى آخر أكثر عمقاً. "فلما سمع يسوع قال هذا المرض ليس للموت" (إنجيل يوحنا: ١١: ٤) هكذا يقول المسيح عندما يتلقى رسالة أن أليعازر راقداً مريضاً في بيثاني. ومع هذا فإن اليعازر مات بالفعل. وعندما أخطأ التلاميذ في فهم ما قاله المسيح فيما بعد: "قال هذا وبعد ذلك قال لهم أليعازر حبيبنا قد نام لكني أذهب لأوقظه" (إصحاح ١١: ١١) قال لهم المسيح صراحة: "فقال لهم يسوع حينئذ علانية أليعازر مات" (١١: ١١).

وربما أضاف كيركجور أنه عندما وصل يسوع إلى بيثاني أن أليعازر كان راقداً في القبر لمدة أربعة أيام وأنه بدأ ينتن (١١: ٣٩).

لهذا (كان) أليعازر ميتاً، ومع هذا فإن المرض لم يكن للموت. إن قيامه يجب أن يفهم على أنه معجزة. ولكن حتى لو كان المسيح (لم) يبعث أليعازر فإن كيركجور يتساءل أليس يظل حقيقياً أن هذا المرض، الموت نفسه، ليس للموت؟ إن المسيح (موجود) وألا يعني هذا أن هذا المرض ليس للموت؟ "كيف كان يمكن أن تتم مساعدة أليعازر على أن يقوم من الموت إذا كان في النهاية سيظل ميتاً ـ كيف يمكن أن تتم مساعدة أليعازر إذا لم يكن (هو) موجوداً، (هو) الذي هو البعث والحياة لكل من يؤمن به!" ومع هذا فبالنسبة للمسيحي لاتزال هناك حالة يمكن أن تسمي المرض للموت. إنه لا يسبب الموت للجسم لأنه مرض في الروح، في النفس. هذا المرض هو أعمق حالة لليأس (إن تفوق المؤمن على الإنسان الطبيعي قائم في إنه على علم بهذا المرض، والشفاء منه هو نعمة المؤمن).

Twitter: @ketab_n

وبهذا نصل إلى الأطروحة المحورية للكتاب.

إن الفرق الحاسم بين الإنسان الطبيعي والمؤمن هو أن حياة المؤمن هي حياة (لله) أي (إزاء الله) وهكذا فإن نفس المؤمن هي نفس إزاء الله، ومع هذا الشيء الجديد في كيفيته يرتفع على نظرة الإنسان الطبيعي (الملحد) للحياة وموقفه من الحياة. وعلى سبيل المثال، إن ما هو (ذنب) بالنسبة للإنسان الطبيعي يصبح عند المؤمن (خطيئة). والقسم الثاني من الكتاب يبدأ بالكلمات التالية: "الخطيئة هي: (إزاء الله أو وجود تصور لله في اليأس في الرغبة بيأس ألا يكون الإنسان نفسه أو الرغبة بيأس في أن يكون الإنسان نفسه). الخطيئة هي إمكانية اليأس. والنقطة التي عندها التركيز هي: "إزاء" الله أو إن تصور الله ماثل، وأن ما يجعل الخطيئة جدلية وأخلاقية ودينية وما يسميه المشرعون اليأس (على حقيقته) هو تصور الله".

لقد رأينا أن الخطيئة هي إمكانية اليأس وهذا عند كيركجور يأس مسيحي بصفة خاصة. إنه يأس لا يعرفه الإنسان الطبيعي. إنه بالنسبة للمسيحي هو المرض للموت، لا بالنسبة للجسم بل بالنسبة للنفس. إنه في ذروة أشكاله هلاك للنفس.

هذا المرض للموت لا يمكن شفاؤه إلا بطريقة واحدة. من خلال (الإيمان). وصيغة الإيمان تتحدد على النحو التالي: (الإيمان هو: أن تكون النفس ذاتها والرغبة في أن تكون ذاتها تتأسس من الله بشكل واضح) بمصطلحات صريحة: إن أمراض اليأس يمكن شفاؤها في المسيحي عندما تصل نفسه إلى تفاهم مع الله، وبمصطلحات سامية يمكن القول: عندما تتأسس نفسه بشكل واضح في الله. هذه هي البركة بالنسبة للمسيحي. ولهذا فإن عكس الوجود في اليأس هو أن يكون لدينا الإيمان.

Twitter: @ketab_n

وعلى أي حال فإن هناك صعوبة في نظر كيركجور الحصول على الإيمان المسيحي. إن عقيدة المسيحية على عكس العقل لدى الإنسان الطبيعي وطريقة كيركجور المعتدلة في التعبير عن هذا هو أن المسيحية لابد أن تبدو في نظر الإنسان الطبيعي غير معقولة. وبتعبير أقوى يقول إن هذا متناقض ظاهرياً بل إنه عبث مليء باللغو. وهاكم مثال واحد على هذه النظرة:

"والآن بالنسبة للمسيحية! إن المسيحية تعلم أن هذا الشخص المفرد وكل شخص مفرد مهما يكن رجلاً أو امرأة أو خادماً أو وزيراً أو تاجراً أو حلاقاً أو طالباً وما إلى ذلك، هذا الإنسان الفرد هو (إزاء الله). هذا الشخص المفرد الذي ربما يكون فخوراً بأن يتحدث مع الملك ذات مرة في حياته، هذا الشخص الذي لا يتصور ولو قليلاً أنه على وفاق مع بعض الأشياء، هذا الشخص يوجد إزاء الله ويمكن أن يتحدث إلى الله عندما يريد ويتأكد أنه سوف يستمع إليه، بالاختصار، هذا الشخص مدعو إلى أن يعيش في وفاق مع الله. زيادة على ذلك، بالنسبة لهذا الشخص، وكذلك من أجل هذا الشخص يأتي الرب إلى العالم ويدع نفسه يولد ويعاني ويموت، وهذا الرب الذي يعاني يرجو ويتضرع لهذا الشخص أن يتقبل المساعدة التي يقدمها له! حقاً، إذا كان هناك أي شيء يجعل الإنسان يفقد عقله فيجب أن يكون هذا! كل شخص مفرد ليست لديه الشجاعة المتواضعة للإيمان بهذا هو إنسان مفضوح. ولكن لماذا هو مفضوح؟ لأنه سام عليه، لأنه لا يستطيع أن يستوعب هذا، لأنه لا يستطيع في مواجهته أن يحرز صلة قلبية صريحة ومن ثم يستعبده ويحوله إلى عدم، إلى جنون ولا معنى لأنه يبدو أنه سيجعل منه شيئاً عقيماً".

ولكن يمكن أن توجد صعوبات أخرى عديدة بالمثل في

Twitter: @ketab_n

إحراز الإيمان. "فإذا تحدثنا من الناحية الإنسانية" هناك الطبائع السعيدة والطبائع التعسة. فبالنسبة للطبائع التعسة قد يكون من الصعب الإيمان بأن النفس المعطاة التعسة قد (أطلقها الله). وسورين كيركجور قد اعتبر نفسه - إذا تحدثنا إنسانياً - بأن له طبيعة تعسة وضائعة من الناحية الجسمانية والعقلية على السواء. فمن مولده، وهو "رقيق، خفيف، وضعيف" وهو لا يكاد يعد نفسه (رجلاً كاملاً). بالإضافة إلى هذا، من أوائل حياته، "وقد هيمنت عليه سوداوية هائلة" كانت تتغذى من ناحية بظروف أسرته المأسوية وتجد أكبر تعبير عنها في الأفكار والإيمان بوجود لعنة أسرية. ثم جاءت انحرافات شبابية مهما تكن. وفي بؤرة هذا المركب التعس تكمن "الشوكة في اللحم". ولا يُعرف على وجه اليقين ما الذي يشير إليه كيركجور بهذا التعبير، ولكن من المؤكد أنه يعتبر شوكته التي في اللحم شيئاً جسمانياً. وكما ذكرنا من قبل كان كيركجور مزدوجاً ثنائياً روحياً يرى الإنسان على أنه "مركب من الجسم والروح". ولكن بين المفاهيم الأساسية كان يركز على ما هو جسماني. إن الشوكة التي في اللحم تشير أيضاً إلى "انفعال سري" أو "نقص أساسي" يجعله "استثناء" في إطار ما هو إنساني ويحول بينه وبين "تحقيق ما هو كلي". كل ما هنالك أنه يعد نفسه (مفضلاً) من ناحيتين: لأنه كان مستقلاً من الناحية الاقتصادية ولأنه يمتلك "عبقرية رائعة". زيادة على ذلك، لقد فسر هذه المزايا على أنها تتضمن إلزامات.

وسورين كيركجور يتحدث عن هذه الأمور في فقرات مختلفة في كتبه ويومياته، ولكن في الغالب بشكل يسمح بالتفسيرات المتباينة. ولن نوغل في هذه النقطة هنا، ولكن سنلاحظ فحسب أنه في كتابه (المرض حتى الموت) تجد في ذكراه مرات عديدة أننا على وعي بالخلفية التي تبدو

Twitter: @ketab_n

شخصية للغاية. وعلى أكبر الاحتمالات مع طبيعته التعسة كان يعرف مصاعب تقبل وامتلاك نفسه كما (أطلقها) الله. وعلى الأرجح أيضاً أنه كان يعرف إغراء الضعف، "في ألا تريد أن تكون نفسك" وكذلك إغراء التحدي "لكي تكون نفسك" بقول آخر: إنه يعرف مصاعب "تواضع الإنسان إزاء الله" وهو بسيكولوجيا ليس لها مثيل يغوص في أعماق الطبيعة التعسة الخاصة بالإنسان المفضوح إزاء الله، واليأس الشيطاني والخطيئة في حق الروح المقدس وأشياء أخرى. نجد على سبيل المثال:

"إن اليأس الشيطاني هو أكبر شكل لليأس الذي يريد أن يكون ذاته. وهذا اليأس لن يكون حتى ذاته في الافتتان الرواقي مع ذاته أو في عبادة الذات غير راغب بهذه الطريقة ومع هذا في إطار كماله أن يكون ذاته، كلا، إن اليأس يريد في كراهية الوجود أن يكون ذاته، إنه لا يريد حتى في تحدي الإرادة أن يحرر نفسه من القوة التي تطلقه ... التمرد ضد الوجود كله، إنه يظن أن هذا برهان ضد، ضد خيريته. إن الشخص اليائس يعتقد أنه هو نفسه هو هذا البرهان وهذا هو ما يريده ولهذا فهو يريد أن يكون نفسه، يكون نفسه في إنفعاله لكي يستطيع بهذا الإنفعال أن يحتج ضد كل الوجود. وبينما ينصت اليائس الضعيف إلى لا شيء من الراحة، فإن الأبدية تستعد له، حتى إن هذا النوع من اليائسين لا ينصت إليها بل لداع مختلف: إن مثل هذه الراحة سيكون فيها دماره، كاعتراض ضد كل الوجود. وإذا تحدثنا بالرمز والتشبيه يبدو الأمر كما لو أن المؤلف قد انزلق قلمه وأن هذا الخطأ قد أصبح مراعياً بنفسه على هذا النحو ... كما لو كان هذا الخطأ سيتمرد ضد المؤلف منطلقاً من الكراهية لمنعه عن تصحيحه، وفي التحدي الجنوني يقول: "كلا، لن أمحى، سأظل كشاهد ضدك، شاهدك على أنك كاتب تعس".

Twitter: @ketab_n

هذه الفقرة يمكن أن تتبعها فقرات من النوع نفسه أو النوع المشابه في الكتب وفي اليوميات على السواء. ومن أشد الأشكال تأثيراً ولها طابع مرضي تحليلاته لمسرحية ريتشارد الثالث لشكسبير في كتابه (خوف ورعدة) وفي "مذنب أم غير مذنب؟" وعلى أي حال، لم يفقد سورين كيزكجور نفسه فيما هو شيطاني. لقد "نأى"، لقد تواضع إزاء الله وتمسك بالإيمان. ومع هذا بتحفظ هام تحدث عنه في (المرض حتى الموت) بإحكام يدعو إلى الإعجاب. ونلخص الأمر فنقول:

إن سورين كيركجور كما رأينا من قبل أنه لم تكن لديه شكوك عن حقيقة المسيحية، بالرغم من أنه أدرك صعوبات الإيمان بشكل لم يكن لدى أي إنسان آخر، ومسألة أخرى تماماً، إنه كان يشعر في فترات مختلفة من حياته إنه أكثر قرباً من أو أكثر بعداً عن المسيحية. ومن المؤكد إنه لم يعد نفسه كمسيحي "بالمعنى الدقيق للكلمة". ولا يدل هذا على أي اهتزاز في الإيمان، ولكنه يدل على نقد قاس فيما يتعلق بتحقيق مطالب الإيمان (وجودياً) كما رآها. وفي كتابه (المرض حتى الموت) نلاحظ في فقرة رائعة في بداية القسم الثاني وصفه "لما يمكن أن يسمي الوجود - المشاعر الذي موضوعه الأساسي هو النزعة الدينية" وفي الفقرة التي تلي هذا، هناك نقطتان رئيسيتان: أولاً - إيجاز مثل هذا الوجود - الشاعر ليس متعلقاً بما هو ديني من الناحية الوجودية. ثانياً، وبتفصيل أكبر، إن الوجود - الشاعر الطروح شيء ملحوظ في أن هناك "شيئاً ما" في نفسه، إنفعالاً سرياً، شوكة في اللحم (لا يستطيع ولا يريد) في الإيمان أن يخضع نفسه لها ولا يأخذها على عاتقه باعتبارها لنفسه. وهذه الفقرة على هذا النحو:

"من وجهة النظر المسيحية كل وجود - شاعر (برغم

Twitter: @ketab_n

ما هو جمالي) هو خطيئة ... إنه خطيئة إضفاء الطابع الشعري بدل إضفاء الطابع الوجودي، والوقوف في علاقة مع ما هو خير وحقيقي من خلال التخيل بدل أن يكون هذا الخير وهذه الحقيقة، أي يسعى وجودياً إليها. إن الوجود - الشاعر الخاص هنا موضع النظر مختلف عن اليأس (العادي) في أنه يتضمن فكرة الله أو أنه إزاء الله، لكنه للغاية وكما لو كان في تشوشٍ جدليًا لا يخترق، فإلى أي حد هو داع بأنه مخطئ وآثم. مثل هذا الشاعر قد تكون لديه حاجة دينية عميقة للغاية، وفكرة الله متضمنة في يأسه. إنه يحب الله فوق كل شيء، الله الذي هو الراحة الوحيدة له في انفعاله السري، ومع هذا فإنه يحب الانفعال، ولا يريد أن يدعه يغلق. إنه يريد كثيراً أن يكون نفسه إزاء الله ولكنه ليس عند النقطة المحدودة التي عندها تعاني النفس، وهناك يريد - يائساً - ألا يكون نفسه، إنه يريد الأبدية أن تقتلعه، وهنا، فيما هو زماني ووقتي، لا يهم من الذي سيعاني لها، إنه لا يستطيع أن يتخذ قراراً بتقبلها وهو لا يستطيع في الإيمان أن يتصنع لها. ومع هذا يستمر في ارتباط نفسه بالله وهذه هي نعمته الوحيدة، سيكون أكبر رعب بالنسبة له ألا يكون مع الله "فهذا شيء يدعو إلى اليأس"، ومع هذا فإنه يسمح لنفسه - ولكن ربما بدون وعي - أن يضفي طابعاً شعرياً على الله، ويقصد أن يكون الله مختلفاً قليلاً عن الله المعروف، مختلفاً قليلاً مثل الأب المعبود الذي يشبع إلى حد بعيد رغبة طفله الوحيدة. إنه أشبه بالإنسان التعس في الحب، والذي يصبح شاعراً على سعادة الحب وهكذا يصبح شاعر النزعة الدينية. لقد كان تعساً في النزعة الدينية، وهو يتبين بقيامه أن ما هو مطلوب منه هو إطلاق هذا الانفعال أي مع الإيمان ليتصنع له ويتقبله على أنه يمت إلى النفس، لأنه يحاول أن يستبعده إنه وهو بقيامه بهذا يتمسك به أكثر بالرغم من أنه في الحقيقة يعتقد

Twitter: @ketab_n

(كما هو الشأن في كل كلمة خاصة باليأس تكون صحيحة بالعكس ومن ثم يجب فهمها معكوسة) إن هذا يجب أن يعني أن يخلص نفسه بقدر الإمكان وجعله يذهب بعيداً بقدر الإمكان بالنسبة للإنسان. ولكنه يتقبله في الإيمان، إنه لا يفعله، أي إنه في النهاية لن يفعله أو هنا في نفسه في الضباب. ولكنه مثل وصف الشاعر للحب، أو وصف الشاعر لما هو ديني له غناؤه، له تفلته الغنائي بشكل ليس عند أي زوج أو أي رجل دين. وكذلك فإن ما أقوله ليس باللاحقيقي على أي نحو، إن عرضه هو أقصى سعادته، هو (أناه) الأفضل. وهو في علاقته بما هو ديني يكون محباً تعساً أي أنه ليس مؤمنا بالمعنى الدقيق للكلمة، أن كل ما لديه هو الاستهلاك الأولي للإيمان: اليأس، وفي هذا اليأس يوجد اشتياق حار لما هو ديني. وإن صراعه هو في الحقيقة على هذا النحو: هل هو المختار؟، هل الشوكة التي في اللحم هي التعبير عن حقيقة إنه مقسوم لما هو؟ هل هو إزاء الله كما هو الشأن بالنسبة للمستثنى؟ أم إن الشوكة التي في اللحم التي يجب أن يتصور إزاءها ما هو إنساني كلية؟. ولكن كفى. إنني أستطيع أن أؤكد الحقيقة: "لم أتكلم؟" من الذي يعبأ بمثل هذه الأبحاث السيكولوجية التي تصل إلى ذراها؟ إن لوحات نرومبرج التي رسمها القسيس سهل عليها أن تفهم، إنها تشبه كل إنسان، إنها من الناحية الوصفية تشبه الناس العاديين ولكنها من الناحية الروحية لا تفهم شيئاً".

شاعر النزعة الدينية! هل يعلن كيركجور بهذه الكلمات تشخيصه الذاتي وحكمه الذاتي؟ هناك الكثير الذي يوحي بأنه يفعل هذا ولكنه ليس من الممكن فهم عمق المسألة، إلا إذا تبينا كيف كان لكيركجور أن يفهم (وجودياً) تعبير الإيمان المسيحي الذي كان يتطور خلال تلك السنوات وهذا ما سوف نناقشه فيما يلي.

Twitter: @ketab_n

17

التدريب على المسيحية

في أيلول (سبتمبر) ١٨٥٠ نشر كيركجور كتابه "التدريب على المسيحية" وكان يشغل في طبعته الأصلية ٢٧٦ صفحة. وهو مثل كتاب (المرض حتى الموت) له أهمية كبرى لفهم تفسير كيركجور للمسيحية. والكتابان يكملان بعضهما. في كتاب (المرض حتى الموت) الموضوع هو المسيحي إزاء الله. وفي كتاب (التدريب على المسيحية) الموضوع هو المسيحي إزاء المسيح. وهذا الكتاب الأخير قد كتب في أوائل عام ١٨٤٨، وربما ننصح القراء الذين يرغبون في التوصل إلى فهم أعمق لكيركجارد أن يقرأوا هذا الكتاب قبل كتاب (المرض حتى الموت).

وكما ذكرنا من قبل، لا يمكن طرح أي برهان على حقيقة المسيحية، وهذا هو رأي كيركجور. كل المحاولات في هذا الشأن مرفوضة فكيركجارد يراها وهمية. المسيحية ليست "مسألة معرفة" بل "مسألة إيمان". وبالنسبة (للتدريب) الحق كمسيحي، يجب أن يتوجه الإنسان إلى الأناجيل، إلى سجلات حياة المسيح ومواعظه. وبقدر الإمكان على الإنسان أن يحاول "أن يجعل نفسه معاصراً" مع المسيح،

Twitter: @ketab_n

يجعل نفسه معاصراً مثلما كان معاصرو المسيح. "أيها السيد المسيح، نود أن نكون أيضاً معاصرين لك ونراك في صورتك الحقيقية وفي بيئة الواقع كما مشيت هنا على الأرض، لا بالذكريات المجمعة الجوفاء الخالية من المعنى، الخالية من الشاعرية التي شوهتك". وفهم حياة المسيح ومواعظه (وهي معاصرة) هو الأطروحة الأساسية في كتاب (التدريب على المسيحية) ومن الناحية التاريخية، الكتاب مماثل لكتاب توماس كمبس "محاكاة المسيح" ولكن هناك اختلاف شاسع بينهما!

هناك فكرة عامة متقبلة أن أولئك الذين كانوا معاصرين للمسيح والذين كانت لديهم فرصة رؤيته حياً وهو يعمل أو سماع مواعظه، كانوا قادرين على الإيمان به وبرسالته الإلهية على نحو أسهل منا نحن الذين نعيش بعد هذا بعدة قرون وليس لدينا سوى تراث الكتاب المقدس نعتمد عليه. ويؤكد سورين كيركجور أن العكس هو الصحيح. فنحن الذين نعرف النتائج الهائلة لحياة المسيح على الأرض، والانتشار والتطور القويين للمسيحية يمكننا أن نؤمن بألوهيته بسهولة أكثر من معاصريه. "فهي مسألة دقيقة بالنسبة لمعاصر أن يتقبل أنه يحمل أمارات ومعجزات وهو يراه على مسافة منه، عندما يكون جماع حياته عوناً على الخيال، حينئذ يمكن تبين أن الإنسان يؤمن بهذا". وكيركجارد ببراعة شديدة يستحضر صورة ليسوع المسيح المتواضع كان يراها قومه في وقته، الإنسان الفقير المولود من "عذراء محتقرة و(أبيه النجار). وهكذا فإن الإنسان الفقير ومعه اثنا عشر حوارياً من أشد طبقات الشعب إتضاعاً، كانوا في فترة ما موضع فضول ولكنهم كانوا فيما بعد في صحبة الخطاة وجباة الضرائب والمنبوذين والمجذوبين".

Twitter: @ketab_n

فكيف يمكن للناس في زماننا أن ينظروا ويحكموا على شخصية المسيح وحياته وتعاليمه لو كانوا معاصرين له ومن ثم ليست عندهم معرفة بالتاريخ المستقبلي للمسيحية؟ إن كيركجور يتخيل كيف أن نخبة تمثل عصره ستحكم وتعبر عن نفسها. وأول المتحدثين خمسة ممثلين "للحكماء والحصفاء" ثم رجل دين ثم فليسوف ثم سياسي ثم المواطن المتصلب وأخيراً الساخر. وفي هذه الصفحات الساحرة يمثل كيركجور هذه الأنماط المختلفة على نحو كامل. يقول ثاني الحكماء والحصفاء من بين الأشياء الأخرى التي يقولها:

"إن حياته خيالية بكل بساطة، وحتى أن هذا أكبر تعبير متواضع يمكن أن يطبقه هنا ومع هذا الحكم روح عالية تُنسي تماماً جنونه الغريب بشأن اعتبار نفسه إلها. إنه خيالي. على الأخص يمكن للإنسان أن يعيش على هذا النحو لسنوات قليلة في شبابه. لكنه كان قد تجاوز الثلاثين، وهو لاشيء من الناحية الحرفية. زيادة على ذلك لابد أنه فقد في فترة وجيزة تماماً كل احترام وكل سمعة بين الناس، وهو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يقال إنه حققه حتى ذلك الوقت. فإذا أراد الإنسان أن يضمن لنفسه الشعبية على المدى الطويل - والذي اعترف بأنه أكد فرصة كلها مخاطرة - فيجب أن يسير على نحو مختلف. ولم تنقض إلا بضعة أشهر وقد ضاق الجمع بذلك الإنسان الذي هو في خدمتهم على هذا النحو، لقد اعتبر منبوذاً، لقد اعتبر (ذاتاً سيئة) قد يكون سعيداً لو انتهى في ركن قصي من العالم ناسياً العالم ومنسياً في استمرار المجرى الكلي لحياته وربما يتعصب لدرجة يتمنى فيها أن يُقتل، وهذه هي النتيجة المحتمة لبقائه في موضعه ... الانضمام إليه؟ قل، أقول شاكراً، أشكر الله إنني لم أجن بعد".

Twitter: @ketab_n

ومن بين الأشياء الأخرى يقول رجل الدين:

"بالنسبة للدجال ومُغوي الشعب هنا لا شيء صادقًا بالنسبة له علي نحو فريد حقاً، والأمر هكذا حتى أنه ليس مضطراً تماماً مهما يبد الأمر خطراً، طالما دام الوابل وتبدو إنيته الخطرة مع انتهاء الوابل والناس، الناس نفهم أنهم الذين ينبذونه. والشيء الصادق هو طرحه على أنه المسيح التشبه به كما يفعل - هذا صادق بمثل ما يصدر الإنسان أوراقاً نقدية ويجعلها سيئة لدرجة أن من عنده دراية يفوت عليه الزيف. حقاً، إننا جميعاً ننتظر المسيح بالرغم من أنه لا يوجد إنسان عاقل يتوقع أن يأتي الله مشخصاً بل إن الناس المتدينين هزوا أكتافهم سخرية لادعاء هذا الرجل. ومع هذا فنحن جميعاً نتفق على إننا ننتظر المسيح. غير أن حكم العالم لا يمكن أن يستمر بالقيود والأصفاد، إن تطور العالم كما تدل الكلمة نفسها ليس ثورياً بل تطورياً. ومن ثم فإن المسيح الحقيقي سوف يظهر على نحو مختلف، إنه سوف يأتي على أنه ذروة التطور المزدهر العظيم لحالة الأشياء الراهنة. على هذا النحو سوف يأتي المسيح وسوف يتصرف على نحو مختلف، إنه سوف يقر الوضع الراهن للأشياء كسلطة، وسوف يدعو جميع الكهنة للإمتناع، وسوف يقدم نتائجه وتعميداته، ثم إذا حدث اقتراع عام سوف يجري تقبله وينادي به على أنه الرسول الفريد "المسيح".

ويقول الفليسوف:

"مثل هذا العبث المخيف أو بالأحرى مثل هذا العبث الجنوني، ألا وهو أن إنساناً يريد أن يصبح الله لهو شيء لم نسمع به من قبل، إنه شكل من أشكال الذاتية المتطرفة وسلب خالص متطرف لم نر له مثيلاً من قبل. إنه بلا عقيدة وبلا مذهب، وهو لا يعرف في الحقيقة شيئاً، ليس

Twitter: @ketab_n

لديه سوى أقوال حكمية قليلة، بعض الشعارات ومجموعة من الأمثال والحكم يستمر تكرارها أو ينوع فيها ومن ثم يحير الجماهير التي يظهر لها العلامات الحقيقية يؤمنون به ذلك الذي يواصل فرض ذاتيته عليهم. وفيه وفيما يقول لا يوجد شيء على الإطلاق موضوعي أو إيجابي، وبشكل ما لا يحتاج إلى أن يذهب إلى أبعد من هذا لأنه قد وصل إلى الهاوية - فلسفياً - فمصير الذاتية المحض أن تنتهي في الحقيقة. إنني أقر بأنه ذاتية بارزة وأنه يعد - بصرف النظر عن علاماته ومعجزاته الأخرى - معلماً ويكرر معجزة الأرغفة الصغيرة الخمسة: بمساعدة قليل من الغنائية والحكم والأمثال. وهو يثير البلاد كلها. ولكن حتى لو استطاع الإنسان أن يتجاوز الجنون، إنه يعتبر نفسه الله، فإنه يكون خطأ لا يستوعب يكشف عن قليل من التربية الفلسفية وهو الإيمان بأن الله يستطيع أن يكشف عن نفسه على شكل إنساني أصلاً. إن الجنس البشري، الكلي، الشامل هو الله، ولكن الجنس البشري مؤكد أنه ليس فرداً واحداً. ليس هناك سوى التكبير القائم في الذاتية وهو أن الفرد يريد أن يكون شيئاً، لكن الجنون بطبيعة الحال هو أن الفرد يريد أن يكون الله.. فإذا كان هذا الجنون ممكناً وهو أن يكون الإنسان الله، إذن فيجب أن يسجد الإنسان لهذا الفرد، ولا يمكن تصور أكثر من هذا وحشية فلسفية".

والمواطن المتصلب يقول، وقوله يمثل رأي كل إسرته: كلا، لنكن أناساً عاديين وحينئذ يكون كل شيء على ما يرام في الإعتدال. فالإفراط والتفريط يدمر كل شيء، وكما يقول المثل الفرنسي الذي سمعته ذات يوم من تاجر جوال: "كل قوة تبالغ يُطاح بها" وإطاحة هذا الإنسان مؤكدة بما فيه الكفاية. لقد أخذت ابني للعمل وحذرته من أن يتخذ موقفاً خاطئاً وينضم إلى هذا الرجل ولأي دواع؟ لأن الجميع يجرون وراءه. نعم، جميع من؟ الناس الكسالى الذين لا

Twitter: @ketab_n

قيمة لهم، المتسكعون والأفاقون الذين يجرون بسهولة ولكن ليس أرباب البيوت أو الأغنياء وليس من بين الناس المهرة والمحترمين ولا حتى جبسن مستشار الدولة ولا ماركوس السياسي ولا كريستوفرسن القنصل الغني، كلا، كلا، فأولئك يعرفون ما هو صحيح. وإذا نحن نظرنا إلى الكهنة الآن الذين يفترض فيهم أنهم يعرفون حقائق مثل هذه الأشياء، فإنه ليس لديهم شيء على الإطلاق. وهاكم ما قاله باستور جرونفالد في النادي في الليلة الماضية: "تلك الحياة، سوف تنتهي بكارثة مخيفة"، وهذا الرفيق لا يستطيع سوى أن يعظ، ولا يجب أن تنصتوا إليه في الكنيسة يوم الأحد، بل في النادي يوم الإثنين، لكن أود لو كان لي نصف معرفته عن العالم. حقاً ما يقول، وهذا ما يصدر من صميم قلبي: "الكسالى ومن لا قيمة لهم هم وحدهم الذين يجرون خلفه". ولماذا يجرون خلفه؟ لأنه يستطيع أن يقوم ببعض المعجزات. ولكن من الذي يقول إنها معجزات أو أنه يعطي تلامذته نفس القدرة، ومع هذا فالمعجزة هي شيء مشكوك فيه. بينما ما هو يقين هو شيء يقيني. وكل أب جاد يربي أطفاله يجب أن يقلق في الحقيقة خشية أن يشتطوا ويفتتنوا ويلحقوا به وبالناس اليائسين الذين يتبعونه، اليائسين الذين لا يملكون على الإطلاق شيئاً يفقدونه. حتى هؤلاء كيف يمكن له أن يساعدهم؟ لابد وأنك تكون إذا أردت أن تتم مساعدتك على هذا النحو، وحتى في حالة كونك أفقر شحاذ فإنه يساعدك بأن يقذف بك إلى النار فيلقي بك في بؤس جديد. كان يمكن للشحاذ أن يتجنبه لو كان قد ظل بمنأى وظل على ما كان عليه مجرد شحاذ بسيط".

لقد كان القديس الذي بولس هو ردد الكلمات عن المسيحية بأنها "فضيحة لليهود وحماقة لليونان". وهناك قدر كبير في كتاب (التدريب على المسيحية) يمكن فهمه على أنه

Twitter: @ketab_n

شرح رائع لتلك الكلمات التي يذكرنا بها كيركجور موافقاً في صفحات مختلفة من كتاباته. والحقيقة هي أن كيركجور اعتبر الفرد المواجه بتعاليم المسيحية يجب (إما) أن تفضحه (أو) يؤمن بها. ومن الناحية السيكولوجية ليست هناك إمكانية ثالثة وهذا ما يجب أن تكون عليه الأمور. (إمكانية الفضيحة) يجب أن تظل حية حتى في الشخص الذي أحرز الإيمان، كتحريض لعاطفة الإيمان والاحتفاظ بالإيمان. وفي مواضع قليلة يقول كيركجور إن الفرد المواجه بالمسيحية (يجب) أن يفتضح أو يؤمن. ويرتبط هذا بنظرة خاصة متطرفة أخرى عند كيركجور. فعنده ليس يمكن أن "توضع المسيحية موضع عدم الاكتراث". إن من (لم) يتخذ موقفاً (قد) اتخذ موقفاً مع هذا. وبالمصطلحات الوجودية الحديثة: إن من لم يلتزم قد التزم مع هذا. والأمر دائماً على هذا النحو عند كيركجور، عندما تكون الأشياء الحاسمة معرضة للخطر يظهر تأثير المسيحية البدائية. "إن من ليس معي ضدي". هذه هي الصيغة الأساسية للتعصب على مدى العصور.

وعلى أي حال، لا يتناول كتاب (التدريب على المسيحية) "إمكانية الفضيحة" ونتيجتها بالإيمان فحسب، بل يتناول الإيمان نفسه ورسالته. وكيركجارد بلمسة أكيدة يلتقط قولاً من أبسط أقوال يسوع ويضعه في بؤرة التفكير "تعالوا إلي أنتم جميعاً يا من تعلمون ويا من أنتم مثقلون وسوف أعطيكم الراحة". وكما أن المؤلف الموسيقي العظيم ينوع موضوعه، يتناول كيركجور محتوى هذه الكلمات عبارة بعد عبارة وكلمة بعد كلمة. ويتم هذا بدقة وحساسية لها تأثير ساحر على كل قارىء بصرف النظر عن إيمانه أو عدم إيمانه. وعندما يصل الأستاذ البارع في النهاية إلى تعليقاته الأخيرة يكتشف الإنسان أنه يقرأ هذه العبارات البسيطة كما لو كانت لأول مرة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

18

الصراع مع الكنيسة القائمة

اعتبر كيركجور الأسقف يعقوب بطرس مينستر (١٧٧٥-١٨٥٤) الممثل الأكبر للمسيحية الرسمية. ولقد كان كيركجور منذ صغره يعرف مينستر الذي كان "كاهن أبي" وظل يتمسك عبر السنين برابطة معينة بهذا الأسقف البارز الذي يعجب به في مواضع عديدة. وقد أعرب مينستر عن تقديره لكتاب كيركجور (مقالات نورانية) والتي كتبت حقاً من وجهات نظر تتطابق تماماً مع وجهات نظر المسيحية الرئيسية. ولكن مع التطور الأكثر صرامة لتفسير المسيحية بشكل يجعلها أكثر زهداً وابتعاداً عن الحياة فكذلك أصبح رأيه في مينستر متغيراً. لقد بدا له الأسقف الآن مشغولاً للغاية بالعالم وملذاته وأصبح مستغرقاً على نحو إنساني للغاية في الحياة الزمانية وأصبح واعظاً منخرطاً فيما هو جمالي. وفي الكتابين المذكورين من قبل يختفي إشكال قوي للغاية ضد الشكل المتهاون للمسيحية كما يعرضه مينستر. ومن يوميات كيركجور نستطيع أن نتبين أنه كان يتوقع من منيستر أن يعترف لكيركجارد بأنه (مينستر) لا يمثل المثال المسيحي الصارم. غير أن هذا الاعتراف لم يصدر. بل بالعكس، أظهر مينستر كراهية

Twitter: @ketab_n

لكتاب كيركجور "تدريب على المسيحية" الذي أطلق عليه "لعبة الحادية مع ما هو مقدس". وفي ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٨٥٤ مات وهو في التاسعة والسبعين دون أن يتوصل إلى فهم كيركجور الذي حاول عدة مرات أن يحقق هذا.

وفي يوم الأحد قبل جنازة الأسقف مينستر، ألقى أستاذ اللاهوت هـ. ل. مارتنسن موعظة تأبينية عن الأسقف في كاتدرائية كوبنهاجن. ومن هذه الموعظة التي طبعت منفصلة فيما بعد، أعلن مارتنسن أنه من مينستر "تفضي أفكارنا إلى التتابع الكلي لشهود الحق الذي يشبه سلسلة مقدسة تصل عبر العصور من أيام الحواريين". وكان لهذا تأثير سيئ على كيركجور. وفي التو كتب احتجاجاً ولكن لاعتبارات انتخابية كهنوتية لم ينشر الاحتجاج حتى يوم ١٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٥٤ عندما طبع في الصحيفة اليومية (الوطن) عندما خلف مارتنسن مينستر وعنوان المقال: "هل كان الأسقف مينستر (شاهداً على الحقيقة) هل كان (شاهداً أصيلاً على الحقيقة)؟ هل هذه هي الحقيقة؟".

وقد أعرب كيركجور عن اعتراضاته بكلمات حادة. في مواعظ مينستر المسيحية تحجب أو تمنع أو تحذف شيئاً مسيحياً مؤكداً، وهو ما يجده البشر أكثر إقناعاً وهذا هو ما يجعل حياتنا متقدة ونشطة وعدم الاستسلام للعالم واحتقار الذات والمعاناة من أجل العقيدة إلخ .. ومينستر لم يعط حتى في حياته تعبيراً عن النغم المفقود للمسيحية الذي يعط به. فخارج (الساعات الصامتة) لم يكن يفعل (بشخصه). بعد هذا تحدث كيركجور عن المطلب المسيحي عن شاهد الحق.

وفي رأي كيركجور أن هذا يتطلب (معاناة من أجل

Twitter: @ketab_n

العقيدة) مطلقة. إن شاهد الحق هو الإنسان الذي حياته منذ بدايتها حتى نهايتها هي الجهل بكل شيء يسمى المتعة. لكنه من جهة أخرى منذ بدايتها يكون في المقدمة كل ما يسمى معاناة. لا بالنسبة لأشكال المعاناة الشائعة للعالم فحسب، بل بالنسبة أيضاً لأشكال المعاناة التي لا تذكر إلا نادراً، لأنها لا تظهر إلا بندرة أشد في الصراعات الباطنية والخوف والرعشة والذعر وقلق الروح وانفعالات الروح. والشاهد الحقيقي هو أيضاً رجل في فقر لشهادة الحق، إنه مفتقر وأنه مُساء فهمه وممقوت ومتهكم عليه ومهان ومضحوك منه. إن الشاهد على الحقيقة، الشاهد (الأصيل) للحقيقة هو إنسان مُعاقب، مساء معاملته، مساق من سجن إلى آخر، ثم في النهاية مترق حيث يعترف به في قمة السلك الكنسي بين الشهود الأصلاء على الحقيقة. وأخيراً يصلب أو تضرب عنقه أو يحرق أو يشوى على محرقة وينقل جسمه الفاقد الحياة على يد الجلاد بعيداً عن موقع الوفاة دون أن يدفن. ومن هنا يدفن كشاهد على الحقيقة!

هذه كانت إشارة البدء لمعركة من إحدى المعارك الكهنوتية الضارية في تاريخ الدانمارك وقد رد مارتنسن بترفع مؤذ، واعتراضه الرئيسي هو أن كيركجور قصد مصطلح "الشاهد على الحقيقة" على (الشهداء) فحسب. لكن من الممكن أن تكون شاهداً على الحقيقة دون أن تكون شهيداً. يتساءل مارتنسن: كيف بحق الله يمكن للدكتور سورين كيركجور أن يعتقد أنه مبرر بقصد المصطلح بمثل هذه الطريقة العالية التناول والتي هي مناقضة تماماً للاستخدام الكهنوتي؟ كيف يمكن لهذا التشخيص أن يستبعد القديس يوحنا الذي لم يحرق ولم يصلب ولا حتى استبعد الجلاد جثته بعد الموت بل دفنته الجموع، كيف يمكن أن يستبعد من شهود الحقيقة؟.

Twitter: @ketab_n

لأول وهلة يبدو هذا الاعتراض أن له ثقلاً لكنه ليس حاسماً. لقد ذهب كيركجور إلى أنه لا يسوي على الإطلاق من شاهد الحقيقة والشهيد (شاهد الدم). إنه يفترض عدداً من شهود الحقيقة أكبر من الشهداء. إن تعريفه لشاهد الحقيقة قائم في الحقيقة على افتراض إنه هو الإنسان (الذي يعاني من أجل العقيدة) دون أن يتعرض بالضرورة لمعاناة الاستشهاد. ولكن عندما يكون هناك ذكر للشاهد (الأصيل) إلى الحقيقة والذي عبر عنه بنفسه بقوله الشاهد على الحقيقة على ذروة السلك الكنسي، إذن فإن من رأيه إننا نبحث الشهيد، شاهد الدم. زيادة على ذلك، من المؤكد أن نظرة كيركجور تذهب إلى أن الأسقف مينستر لا يمكن أن يعد شاهداً على الحقيقة بالمعنى الواسع للكلمة، لأنه لم يعان من أجل العقيدة، ومن ثم فهو فى رأي كيركجور قد سقط في العالم ومباهجه. وعلى أي حال لم يعش في مسغبة.

وقد أثارت هذه الآراء حملة عاصفة في الصحافة ساهم فيها الكثيرون ومعظمهم معاد لكيركجارد ويكاد يكون وحده وقد خاض المعركة بقوة وعاطفة شديدتين. وفي آذار (مارس) ١٨٥٥ نشر في صحيفة (الوطن) مقالاً يوضح فيه موقفه اكتسب شهرة خاصة بحق. وعنوان المقال هو (ماذا أريد؟) وهو يبدأ هكذا:

"بكل بساطة: أريد الاخلاص. أنا لست قسوة مسيحية ضد التساهل المسيحي كما صورني الناس ذوو النية المغرضة.

كلا، أنا لست تساهلاً ولا قسوة. أنا إخلاص إنساني.

إن التساهل الوارد في المسيحية الشائعة في هذا البلد أريد أن أضعه جنباً إلى جنب مع العهد الجديد لأرى كيف يمكن أن يرتبط هذان الشيئان.

Twitter: @ketab_n

وحينئذ، إذا ثبت هذا، إذا استطعت أنا أو أي إنسان آخر أن يبين أن شبهاً بالمسيحية في العهد الجديد: حينئذٍ سأتفق مع هذا بأكبر فرح.

لكن هناك شيء لن أفعله ولا لخاطر أي شيء في العالم: لن أحاول بالكبت أو الحيلة أن أقدم الوهم بأن المسيحية العادية في هذا العهد ومسيحية العهد الجديد متشابهتان. تنبهوا، إنني لن أفعل هذا".

وبعد هذا يرد في هذه المقالة، المثال الصارخ التالي بين أمثلة عديدة:

"إن معلماً للمسيحية إنما يتناول أجراً على سبيل المثال بضعة آلاف من الدولارات. فلو تجاهلنا الآن المعيار المسيحي وأخذنا بالمعيار الإنساني العادي فإن هذا في الحقيقة طبيعي على نحو كامل إن الإنسان يجب أن يُدفع له أجر مقابل عمله، يدفع له حتى يمكنه أن يحيا مع أسرته. وهو باعتباره مسؤولا حكوميا في وظيفة بارزة لابد أن يكون له مرتب كبير: إذن بضعة آلاف من الدولارات في السنة ليست بالشيء الكثير. ومن جهة أخرى بمجرد قبول المطلب المسيحي للمسغبة على أنه مطلب صادق إذن فإن الأسرة تكون ترفاً وتعد بضعة آلاف من الدولارات في السنة أجراً مرتفعاً. لا أقول هذا لأنني لا أريد - إذا أتيحت لي الفرصة أن أنقص سنتاً واحداً من المرتب، من مثل هذا الموظف، بل بالعكس، إذا أراد هذا، وإذا كانت أمامي الفرصة يجب أن يتضاعف هذا الأجر ولكن ما أقوله هو أن منع المطلب المسيحي يغير النظرة الشاملة لمرتبه. إن الإخلاص للمسيحية يتطلب من الإنسان ضرورة أن يضع في اعتباره أن المطلب المسيحي هو المسغبة وأن هذا المطلب ليس تهويمة هوائية من جانب المسيحية، بل إن المسيحية لتعرف تماماً أنه في المسغبة وحدها يمكن

Twitter: @ketab_n

خدمتها بحق وكلما زادت الآلاف التي يتقاضاها معلم المسيحية كمرتب. قلّت خدمة المسيحية".

وقرب نهاية هذه المقالة الهامة هناك كلمات مدهشة عن إمكانية "الارتفاع إلى التمرد" ضد المسيحية، وهي كلمات نادراً ما لوحظ مداها وتفردها وهي تصدر من لسان كيركجور. ونحن نقرأ:

"إنني أريد الإخلاص. إذا كان هذا هو ما تريده الإنسانية أو هذا الجيل، إذا ثار بأمانة ومباشرة ودون تحفظ وبصراحة ودفعة واحدة ضد المسيحية، إذا قال للرب: (نحن نستطيع، نحن لن ننحني لهذه القوة) بل سنعبأ بك، فستقع بأمانة ومباشرة ودون تحفظ وبصراحة ودفعة واحدة: حسناً جداً، لا يهم إذا بدا هذا غريباً فسأعمل من أجله، لأنني أريد الأمانة. وأينما يقوم الإخلاص فسوف أشارك فيه".

وقد وجه كيركجور في الوقت المناسب مشكلة أكثر وأكثر ضد الكنيسة القائمة وضد الكهنوت كله، الألف كاهن أو نحو ذلك في كل البلد الذين "يتلاعبون بالمسيحية" وجعلوا من الكنيسة "مصدر كسب للعيش" لكنهم لم يفهموا أن المسيحية هي أولاً وقبل كل شيء هي (الارتفاع عن هذا). لقد صرخ في قارنه: "مهما تكن أنت، ومهما تكن حياتك في مجالات أخرى، دون المشاركة في العبادة الرسمية للكنيسة كما هي الآن (زاعمة أنها مسيحية العهد الجديد) فأنت لست معي وهناك خطأ كبير، أقله ألا تشارك في أن تجعل الله يبدو سخيفاً بأن يطلق على ما ليس بمسيحية العهد الجديد أنه مسيحية العهد الجديد".

وفي أيار (مايو) ١٨٥٥ بدأ كيركجور ينشر صحيفة تسمى (الآن) تقتصر على نشر تهجماته. وقد ظهرت تسعة أعداد بين أيار (مايو) وتشرين أول (أكتوبر) ١٨٥٥ واتخذ الهجوم والسخرية من المسيحية الرسمية شكلاً يزداد

Twitter: @ketab_n

سخرية. وفي العدد التاسع من (الآن) يسعى إلى البرهنة على أن "الكهنة هم أكلة لحوم البشر وبأكبر شكل وحشي" ونجد على سبيل المثال:

إن الكاهن يستقر آمناً ومسترخياً في مقره الريفي، ويأمل أيضاً أن يكتسب انتشارا جذاباً، وزوجته هي نفسها ممتلئة، ولا يقل عنها أولاده. وكل هذا بسبب معاناة مرض العظماء شاهد الحقيقة، هذا هو ما يعيش عليه الكاهن، وهؤلاء العظماء هو الذين يأكلهم ويتغذى معهم من أجل الفتنة المبهجة للحياة ولزوجته وأولاده. لقد احتفظ بهؤلاء العظماء في أحواض من الدموع. وهم يصيحون: "اتبعوني! اتبعوني!" وهي صيحات بلا جدوى. ربما يظل للحظة يتحصن ضد تلك الصيحة ولكن مع كر الأعوام يصبح قاسياً حتى أنه لا يعود يسمعها. ربما إذا بدأنا يشعر بالخجل عندما يجد أنه يسمى (تلميذاً مخلصاً للمسيح). ولكن مع كر السنين يعتاد على سماعها حتى أنه يعتقد هو نفسه أنها حقيقية. وهكذا يموت وقد انحرف كثيراً ويدفن على أنه شاهد على الحقيقة".

هذه الهجمات الشديدة أثارت عاصفة ضخمة في كوبنهاجن بين كل أصناف الناس واشترى الجميع صحيفة (الآن). وهذه العاصفة لم تخطئها البروليتاريا التي رأت في كيركجورد داعيتها من أجل ظروف أفضل. وقليل من الصفوة المثقفة انبرت للدفاع عن كيركجور. أما أخوه الأكبر وهو حينئذٍ كان كاهناً فقد ظل صامتاً.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

19

الـوفـاة

بعد نشر العدد التاسع من صحيفة (الآن) إنهار كيركجور في الطريق وكان ذلك في اليوم الثاني من تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٥٥ ونقل إلى مستشفي فريدريكس في بريدجيد، حيث توفى يوم ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) وتاريخ الحالة المرضية تاريخ مستفيض، ولكن لسوء الحظ لا يظهر تشخيصاً محدداً. وكل ما يبدو واضحاً أنه كان هناك شلل بدأ في الساقين ثم بدأ في الانتشار في بقية جسمه.

ومن بين الزوار المنتظمين الذين وافق كيركجور على استقبالهم صديق شبابه باستور أميل بواسن الذي كتب مذكرات عن هذه الزيارات. ويتضح من هذه المذكرات أن كيركجور كان واضحاً للغاية وظل محتفظاً حتى آخر لحظة بآرائه وأكد أنه كان على حق في تهجمه على الكنيسة. ولقد نجح في تحديد ما أراده وأنه الآن يشتاق للموت:

"لقد أردت ان أموت، وحينئذ أستطيع أن أتأكد أنني قد أنجزت مهمتي. وسوف يكون الناس أكثر استعداداً للإنصات إلى كلمات إنسان ميت عن الإنصات لكلمات

Twitter: @ketab_n

الإنسان الحي". وذات يوم سأل بواسن صديقه إذا ما كان يعتقد في الله وفي رحمته المتمثلة له في المسيح. وقد رد عليه كيركجور بقوله: "نعم بالطبع، فهل هناك شيء آخر؟" وفي يوم آخر سأله بواسن: "ألا تريد أن تتلقى عشاءك الرباني؟" فقال كيركجور: "نعم، ولكن ليس من قسيس، بل من إنسان عادي". فقال بواسن: "سوف يكون هذا أمراً صعباً" فرد كيركجور: "إذن فسوف أموت دون أن أتناول العشاء الرباني". فقال بواسن: "ليس هذا صواباً!" فقال كيركجور: "لا يمكن المناقشة في هذا الموضوع فقد اتخذت قراري، لقد اخترت. إن الكهنة موظفون رسميون، والموظفون الرسميون ليست لهم علاقة بالكنيسة".

وقد سأله بواسن أيضاً إذا كان لديه شيء آخر يضيفه.

فقال كيركجور: "كلا. نعم، سلم لي على كل إنسان، لقد أحببتهم جميعاً حباً جماً وقل لهم، إن حياتي كانت عذاباً كبيراً لا يطاق بشكل لم يعرفه أحد عداي، لقد كان الأمر يبدو تكبراً عبثاً لكن الأمر لم يكن هكذا على الإطلاق. إنني لست أفضل من الآخرين بالمرة، لقد قلت هذا ولم أقل ما عداه، لقد كانت لي شوكتي التي كانت تؤلم لحمي وبسبب هذا لم أتزوج ولم أستطع أن ألج الحياة، لقد حصلت على درجة علمية في اللاهوت وكانت لي حقوق رسمية وأفضليات خاصة، لقد كان يمكنني أن أحصل على ما أشاء لكن بدلاً من هذا أصبحت (المستثنى) أو (الشاذ). بالنهار كنت أعيش في الكلمة والتوتر وفي الليل كنت أنحى جانباً وكان هذا هو الاستثناء أو الشذوذ".

وكانت الجنازة في كاتدرائية كوبنهاجن واشترك فيها عدد كبير. وتحدث أخو كيركجور بتحفظ شديد. وبدأ حديثه بطابع آل كيركجور فذكر الحاضرين بأبيهم الراحل وتأثيره الروحي، ذلك الرجل العجوز الذي كان كبير

Twitter: @ketab_n

العائلة والذي وقف عند قبر كل أولاده فيما عدا الراحل الحالي وشخصه. ثم نوه بالتأثير المختلف الشاسع الذي كان لأعمال أخيه في الدوائر المختلفة وأعرب عن رأيه بأن دوائر الشعب الدينماركي إنما تشكر الله العلي القدير لما منحه لأخيه لمشاهدة الحقيقة وتأسيسها بيننا. غير أنه أضاف إنه يعترف بأنه يأسف لأنه لا هو ولا الآخرون ممن لديهم المحبة والرقة قد بذلوا جهدهم ليجذبوه نحو الراحة والهدوء من توتره الشديد في السنوات الأخيرة عندما كانت رؤيته تصاب بغمام وتشوش من جراء حرارة المعركة حتى إن ضرباته كانت تكال بوحشية كيفما اتفق.

وفي فناء الكنيسة حيث وضع التابوت في مدفن الأسرة تكلم ابن أخت سورين كيركجور الدكتور هنريك لوند الذي كان شديد التعلق بخاله بشكل كله حماس ونورانية واحتج على دفن خاله على الطريقة المسيحية الرسمية. وقد صاح: "توقفي أيتها اللصة!" وكان يقصد أن الكنيسة القائمة قد سرقت جثمان الراحل. وكان هنريك لوند من ضمن الهيئة الطبية خلال مرض كيركجور ووفاته. وهناك أساس للاعتقاد بأن الدفن المسيحي الرسمي لم يكن مما يريده المتوفي ومن جهة أخرى نقش على شاهد مقبرته - حسب رغبته - شعر بروسون على النحو التالي:

"لحظة قصيرة
ثم انتصر.
ثم أن كل المعاناة
تكون قد ولت في التو.
وحينئذ يمكنني أن أستريح
في الوديان الحلوة
بشكل دائم

Twitter: @ketab_n

ومع المسيح أتكلم".

Twitter: @ketab_n

20

خاتمة: الوجودية

مع وفاة سورين كيركجور توقف الجدل الكهنوتي العاصف من تلقاء نفسه. ولم تقدم الكنيسة جواباً شافياً عن هجمات كيركجور بالفعل. ومنذ هذه الوفاة لم يقدم هذا الجواب الشافي أبداً حتى الآن على حد علمي. وقد جرت مناقشة عدد من أفكاره الرئيسية على نحو نزيه في الدوائر الفلسفية المحترفة في الدنيمارك، ومن بين هذه الأفكار مشكلة علاقة الإيمان بالمعرفة ومشكلة علاقة النزعة الإنسانية بالدين، وقد شغلت هذه المشاكل الفيلسوفين راسموس نيلسن (١٨٠٩-١٨٨٤) وهانز بروشنر (١٨٢٠-١٨٧٥) اللذين قد عرفا كيركجور معرفة شخصية واللذين كانا على بينة من عبقريته.

غير أنه كان هناك المزيد من المعاني المختزنة. فكما ذكرنا فقد خلف سورين كيركجور قدراً هائلاً من "اليوميات" تشمل الفترة الكلية من حياته من شبابه حتى وفاته فيما عدا بعض الفجوات البسيطة. وفي عام

Twitter: @ketab_n

١٨٦٩ بدأ هـ. ب. بارفورد نشر أجزاء كبيرة منها. وقد شكلت تسع مجلدات من "أبحاث متبقيات". وفي عام ١٩٠٩ بدأ ب. أ. هيبرج وف. كوهر في إعداد طبعة كاملة تحت عنوان "أبحاث سورين كيركجور" وهي تقع في عشرين مجلداً ضخماً. ومجموع هذه المادة يعد ثروة كبيرة بالنسبة للفهم الأعمق لسورين كيركجور كشخص ولعلاقته بكتاباته الغريبة والملغزة بشكل كبير.

وقد ساهم بارفورد بقدر كبير في إعداد المادة الخاصة بسيرة حياة كيركجور مما جدد الاهتمام المعاصر به. وكان جورج براندز (١٨٤٢-١٩٢٧) أول كاتب يستغل المادة الجديدة في إعداد أول دراسة ذاتية دانماركية عن كيركجور. ويعد كتابه الصغير "سورين كيركجور" (١٨٧٧) كتاباً ساحراً ومليئاً بالحماسة في أغلب الأحيان وهو يركز أساساً - على أي حال - على الجانب الجمالي من كيركجور. وقد وصف الفيلسوف بأنه "عبقرية قوطية". ووصف المؤلف مزاج الفيلسوف بالشفقة والاحتقار. وفي العام نفسه حاضر براندز عن كيركجور في قاعدة محتشدة في جامعة أبسالا. ونتيجة هذا قام و. رودين الأستاذ بهذه الجامعة بنشر كتاب بعنوان "شخصية سورين كيركجور وكتاباته" (١٨٨٠). وفي النرويج كان تأثير كيركجور كبيراً على الشعراء الكبار وخاصة فيجورسون وابسن بالرغم من أن هذا التأثير تأرجح بين الشد والجذب. وقد تأكد أن مسرحيتي ابسن "بيرجنت" و"براندا" اللتين تقابلان المرحلتين الجمالية والدينية في حياة كيركجور على التعاقب، ما كان يمكن لهما أن

Twitter: @ketab_n

تظهرا دون تأثير الفيلسوف الدانماركي. وطوال حياته الشاملةْ ظل ابسن معجباً إعجاباً كبيراً بكيركجارد. والأمر نفسه ينطبق على الكاتب المسرحي السويدي أوجست سترندبرج الذي كان يرى في كيركجور - بكل بساطة - الفيلسوف بألف لام التعريف.

وفي الدينمارك تركت الأفكار الكيركجاردية قدراً هائلاً من التأثير إيجاباً وسلباً على الكتاب البارزين. وهنا نذكر فقط الفيلسوف هيرالد هوفدنج (١٨٤٣-١٩٣١) لقد بدأ كدارس للاهوت وتخرج على هذا النحو ولكنه تحت تأثير رأي كيركجور في المسيحية آمن بفلسفة إنسانية خالصة. وفي عام ١٨٩٢ نشر كتابه التثقيفي "سورين كيركجور فيلسوفاً". وبالتدريج بدأت تتزايد الآداب الدينماركية عن كيركجور بشكل هائل. ولم يظهر مثل هذا القدر الكبير عن أي كاتب دينماركي آخر. وللدراسات الدينماركية قيمة بصفة خاصة بسبب المعرفة الصحيحة بعصر كيركجور في كوبنهاجن والمادة الخالصة بسيرة حياة كيركجور وهي المسألة الضرورية للفهم الكامل للعنصر الإشكالي السائد في كثير من أعمال كيركجور. وقد تأسست عام ١٩٤٨ جمعية كيركجور الدينماركية.

أما الشهرة الأكبر فقد كانت تنتظر كيركجور في الخارج. فعندما مات في عام ١٨٥٥ لم يكن قد تُرجم أي من أعماله إلى لغة عالمية. وهو لم يكن يعبأ بهذا وترك الأمر للعناية الإلهية وكان يعتقد أن شهرته سوف تعم الأفاق إن عاجلاً أو آجلاً. وفي عام ١٨٦١ ظهرت أول ترجمة ألمانية. ولقد كانت لكتاب

Twitter: @ketab_n

"العصر الراهن". ثم بدأت تظهر الترجمات عاما بعد عام. ومع بداية القرن العشرين أصبح اسم كيركجور يحظى باهتمام كبير في الدوائر الأكاديمية الألمانية ويحظى بتقدير شديد كفيلسوف وكلاهوتي وشاعر على السواء. وخلال الفترة من ١٩٠٩ إلى ١٩٢٢ ظهرت أعمال كيركجور الكاملة بالألمانية مما أوجد مناخا فكريا هاما. ومن ألمانيا امتدت شهرته إلى فرنسا وإنجلترا وإيطاليا والولايات المتحدة الأميركية ثم إلى كل البلاد المتحضرة حيث تدرس الفلسفة الغربية. وخلال العقدين المنصرمين أو الثلاثة عقود الأخيرة عمت عبقريته الآفاق من دوائر أكثر اتساعا من خلال ظهور الوجودية. فهذه الحركة الحديثة في فلسفة الحياة - وربما هي الحركة الوحيدة التي تحظى بأكبر اهتمام - قد استلهمت على نحو مباشر سورين كيركجور.

إن من الصعوبة بمكان ترجمة هذا الفيلسوف الدينماركي أعني ترجمة الشعر الغنائي، فلا نكران أننا نفتقد الكثير في الترجمة غير أن المترجمين يعملون بحمية لا تصدق وما تم إنجازه يستحق الإعجاب. فمعظم "الأعمال" قد ترجمت إلى اللغات العالمية الثلاث، وعديد من الترجمات لعدد معين من المؤلفات متاحة باللغات الثانوية الأخرى. وكما أن هناك ترجمة كاملة إلى اليابانية. وفي الوقت نفسه ظهرت آداب أجنبية عن كيركجور بشكل مستفيض وظهر عام ١٨٦٢ "سورين كيركجور - قائمة ببليوغرافية عالمية" أعدها جنز هملستروب وهي تشمل الرجوع إلى ٦٩٩٥ كتاباً ومقالة وعرضاً.

Twitter: @ketab_n

وعلى أي حال فمما يؤسف له أن "المؤلفات" وحدها هي التي ترجمت كاملة أما "يومياته" الصميمية وأكثر أعماله أصالة ودلالة فإنها غير متاحة باللغات الأجنبية إلا على شكل مقتطفات. يمكن الإعتراف بأن مكانة كيركجور في الأدب العالمي سوف تدعم أكثر عندما تنشر (يومياته) كاملة.

ويمكن اعتبار عام ١٩١٩ بصفة خاصة عاماً شهد تأثير سورين كيركجور على الفلسفة العالمية. ففي تلك السنة نشر كارل ياسبرز كتابه الشهير "سيكولوجية النظرة الكلية للعالم". ويمكن أن يقال إن هذا المؤلف قد قدم الحركة الوجودية العالمية على أساس كيركجاردي. ولقد أشار ياسبرز إلى المصادر التي استلهمها فاعترف بأن من بينها كيركجور ونيتشه. ويمكن تتبع تأثير كيركجور في معظم أعمال ياسبرز وخاصة فيما يتعلق بالنظرة الوجودية الأساسية كما يمكن تتبعها ببعض النقاط الخاصة الأخرى.

وبعد هذا بعدة سنوات نشر كتاب هيدجر العظيم والهام "الوجود والزمان" عام ١٩٢٧ وفيه إشارة إلى كيركجور على أنه مؤسس الوجودية في ص ٦٢، وقد ركز هيدجر نفسه على أنه هو نفسه قد توسع بالنظرة الوجودية إلى الأنطولوجيا الوجودية وهو مجال لم يشغل عند كيركجور إلا حيزاً بسيطاً.

وفي فرنسا نجد جان بول سارتر بصفة خاصة هو الذي جذب الأنظار إلى الوجودية. وعنوان مؤلفه

Twitter: @ketab_n

الفلسفي الرئيسي هو "الوجود والعدم" (١٩٤٣)[١] وقد أبدى اهتماما أنطولوجيا يسير مع موقف هيدجر، لكن سارتر - في كتاباته الثانوية الأخرى - انشغل بالإنسان الوجودي بالمعنى الكيركجاردي نظراً لأن الموضوع المحوري في كتابات سارتر الأدبية وقصصه ورواياته ومسرحياته تتناول الإنسان الوجودي. وإن هيدجر وسارتر يمثلان صراحة الوجودية الملحدة علي حين أن وجودية ياسبرز ذات طابع إيماني نوعاً ما. وفي فرنسا نجد أيضاً وجودية كاثوليكية يمثلها مع الآخرين جبرييل مارسل. ومن بين الدراسات الفرنسية عن شخصية كيركجور كتاب ب. منسار "الوجوه المختلفة لكيركجارد" (١٩٤٨).

والقراء الفرنسيون الذين درسوا فلسفة كيركجور عن مراحل الحياة لا يستطيعون أن يتجنوا تذكر بليز باسكال. فباسكال - مثل كيركجور - يرى وجود ثلاثة أشكال من وجهات النظر إزاء الحياة هي: الأبيقورية والرواقية والمسيحية. فالأبيقورية ويمثلها في نظر باسكال الفيلسوف مونتيني هي التصور القائم على اللذة وهو ما يقابل المرحلة الجمالية عند كيركجور. والرواقية ويمثلها عند باسكال الفيلسوف ابيكتيتوس بصفة خاصة فهي تقابل المرحلة الأخلاقية عند كيركجور. والمسيحية هي شيء مشترك بينهما، وهي عندهما قبل كل شيء مسيح الخطيئة والمعاناة.

ولا تزال هناك تماثلات أخرى. فحرب باسكال ضد الجزويت كما هي واضحة في كتابه "رسائل ريفية"

١. ذكر المؤلف أن سنة نشر الكتاب هي ١٩٤٥. فجرى تصويب سنة النشر. (المترجم).

Twitter: @ketab_n

تقابل عند كيركجور حربه الأخيرة ضد الكنيسة الرسمية في كتابه "العصر الراهن". كما يشتركان في المصير الشخصي. لقد كانت لدى باسكال في شبابه الفترة "المدنية" وهي تقابل المرحلة "الجمالية" عند كيركجور. وهنا نجد تعبيرين مختلفين لشيء واحد. وبالنسبة لكليهما في حياتهما القصيرة المحمومة - باسكال ٣٩ سنة وكيركجارد ٤٢ سنة - أصبحت نظرتهما للمسيحية سنة بعد أخرى أكثر زهداً وأكثر تعذيباً لهما واستشهاداً. وكما هو معروف كان باسكال يتعذب في جسده وظل كيركجور متمسكاً بعذاب انفراق الإيمان. "الرقص عند حافة الانفراق" ولقد حاول لبعض الوقت - وواضح أنه لم يحرز نجاحاً كبيراً - أن يحيا حياة زاهدة. ولقد وجد كتاب باسكال "أفكار" في ترجمة ألمانية في مكتبة كيركجور. والأرجح أن أقاربه اللصيقين كانوا مهتمين بالفيلسوف الفرنسي العظيم. وفي هذه النقطة لا تجب الإشارة إلا إلى واقعة صغيرة: فإن أخا كيركجور الذي يكبره بثماني سنوات اللاهوتي والأسقف فيما بعد ب. س. كيركجور أطلق على أبنه الوحيد المولود عام ١٨٤٢ الأسماء التالية في العماد: باسكال ميشيل بول أجيد كيركجور وهذا شيء شاذ للغاية وأمر يدعو للدهشة في التربة الدينماركية حيث أن اسم باسكال لا يرد في أي مكان آخر. ويأتي اسم ميشيل بعد اسم باسكال وهذا هو الأب ثم اسم بول ويحتمل أنه اسم صديق ب. ب كيركجور الشاعر والفيلسوف الدانماركي الشهير بول مارتن موللر. وأخيراً أكيد وواضح أنه يشير إلى الدير الدينماركي في جرينلاند. غير أن اسم باسكال يأتي في

Twitter: @ketab_n

الأول. وكان ب. س. كيركجور قد أمضى صيف عام ١٨٣٠ بهدف الدراسة. لكنه كان عليه أن يفسر سبب إقامته على أنه يُعزي إلى القلاقل السياسية.

ولكن حتى لو كان باسكال ملهماً بعيداً لكيركجارد فإنه ليس ملهماً إلا بالنسبة للإطار وهو إطار خارجي. وقد ملأ هذا الإطار كيركجور بطريقته الأصيلة في فنه الرومانسي العظيم، فكل شيء يصبح متماسكاً ومتمشياً مع العصر الحديث. "فالأبيقوري" يستحيل برهافة شديدة إلى "الجمالي"، على أساس إضفاء الطابع المثالي على الرومانتية المتأخرة والعصر البيروني والعصر الغاضب وعصر دون جوان. "والرواقي" يصبح محموماً أكثر وأكثر استيطاناً في "الأخلاقي" في البورجوازية المهذبة بمبادئها الأخلاقية، والتربية الصحيحة للروح والقلب، يصبح القاضي ولهلم. أما "الديني" فهو بكل سكاكين الجدل الحادة قد أصبح مرهفاً واستحال إلى "الديني الانفرقي". لقد أطيح بكل إيمان بسيط وأصبحت الانفراقات في الجوار القريب وترك "المتفرد" لنفسه كسابح في البحر وتحته ٧٠ ألف فرسخ من الماء دون أي أعماق. وأصبح الإيمان اختياراً داعياً لليأس، أصبح قراراً، إرادة، موقفاً مضاداً لكل عقل. وسورين كيركجور مثل نيتشه - بمعنى ما من المعاني - هو "كاتب التدهور" من الطراز الأول. والمصطلح يستخدم هنا بتحفظ شديد، وهو لا يلاحظ الانهيار في التدهور بل تنبه إلى ما فيه من إشراق روحي غني للغاية. أو إنه - بكلمات أخرى أفضل - كما حدد نفسه: راقص مفرد لعظمة الألوهية.

Twitter: @ketab_n

وكيركجارد عبر عن تلك المسألة عام ١٨٤٦ بتواضع شديد عن عمله. إنه لا يريد (وهذه هي كلماته) أن يقدم اقتراحا جديداً وأن يطرح اكتشافا فريداً أو يكون حزباً جديداً. بل هو يريد - ولنفسه وحدها - أن يتابع الكتابات البدائية عن الظروف الفردية الإنسانية للوجود، الظروف القديمة المألوفة المنحدرة عن الأسلاف بطريقة أكثر شخصية إذا أمكن. وهذه الكلمات من أشد الكلمات تواضعاً. إن تراث الأسلاف يستحيل عند كيركجور إلى شيء جديد في تصويره وتقييمه وتحليله العميق. وكل شيء يحاط بانفعال خاص من الباطنية الداخلية وكما يكتب بقوة واعية وعنف شديد في الخير والشر. أو بتعبير آخر "في الأسى والمرح، في اليأس والتهور، في المعاناة وفي الابتهاج". وهو لا يعرف إلا حداً واحداً: التماسك المنطقي والنفسي.

وقد نتساءل: بالرغم من الاختلافات العديدة هل هناك ملامح مشتركة عند الوجوديين في زماننا؟ والجواب يجب أن يكون بالإيجاب.

أولا، إن الوجوديين جميعاً يتفقون بشكل طبيعي بصدد المفهوم الذاتي والعاطفي والإرادي للحقيقة وهذا جوهر المشكلة. وقد استمد هذا من كيركجور تحت اسم المفهوم الوجودي للحقيقة. وأحيانا ما يبدو هذا المفهوم للحقيقة على أنه المفهوم الوحيد لا في فلسفة الحياة وحدها بل بكل بساطة أيضاً في جميع المجالات. وتظل هذه النقطة غامضة للغاية.

ثانيا، إن الوجوديين الكبار مثل كيركجور ينظرون نظرة كئيبة للحياة والإنسان. وإن تأكيد كيركجور

Twitter: @ketab_n

على القلق واليأس والسوداوية مسألة نمطية بل يجري تأكيدها بشدة. وكما هو الحال عند كيركجور فإن الإنسان كما يرى الوجوديون الحديثون يعد غريباً في هذا العالم. إن كل شيء يمكن أن يتسبب في القلق والاضطراب. وعند سارتر نجد حتى غثياناً معيناً بالنسبة للحياة ووظائفها. وكيركجارد فهمه على أي حال خلال سنواته الأخيرة. والإنسان لا يستطيع بالمرة أن ينسى كلماته عن الجسم: هذه الكمادة الفاترة الموضوعة على النفس. ولدى ياسبرز نظرة أخف عن الإنسان وإمكانياته لكنه لا يظل يركز على تلك الملامح الكيركجاردية على أنها الشيء الجوهري.

ثالثاً، الوجوديون البارزون مثل كيركجور لا يؤمنون بالجبرية. وكان كيركجور مقتنعاً بوجود ما يمكن أن يسمى على نحو شعبي (بالإرادة الحرة) أو حرية الاختيار بتعبير أدق. وفي كل موقف للاختيار والإنسان مواجه دائماً بإما أو يكون لديه اختيار (حر). وقد اعتبر كيركجور هذا إمارة لنبالة الإنسان. وقد اتخذ الوجوديون المحدثون نفسه في تعارض شديد مع الجبرية السائدة في عصرنا. وبمعنى ما من المعاني هذا هو الأساس الأخلاقي وربما هو النقطة المحددة الوحيدة في الوجودية. والمسؤولية الباهظة ملقاة بثقلها على الإنسان وعلى أفعاله والتزاماته لأن حرية اختياره مُفترضة ومتوقعة.

فهل يمكن للتفكير الوجودي أن يفضي إلى شيء آخر؟ أجل، فمما لاشك فيه أن الجواب يجب أن يكون هكذا. ففي الحقيقة لا توجد حقيقة موضوعية في

Twitter: @ketab_n

المجالات الوجودية ولا تتشكل الحقيقة الذاتية إلا فيما هو عاطفي وإرادي. والوجودية تتخذ عند كيركجور بصفة شخصية طابع الوجودية المسيحية. ويترتب على هذا الأخلاق المسيحية. ولقد كان يبعث أيضاً وبشجاعة إمكانية الحياة الأخرى. ولكنه كان - لأسباب مختلفة - متشبثاً بالمسيحية. "أن يصبح مسيحياً" كانت مشكلته الوجودية الخاصة. وبمعني ما من المعاني يمكن للإنسان أن يقول أن الجوهري في تفكيره هو الفهم والتقدير الوجوديان لكلمات المسيح الشهيرة: "أنا الطريق والحقيقة والحياة" وهذه الكلمات الثلاث: الطريق والحقيقة والحياة هي مترادفات (وجودية).

Twitter: @ketab_n

تواريخ في حياة كيركجور

١٨١٣ ولد في ٥ أيار (مايو) في كوبنهاجن

١٨٣٠ الالتحاق بالجامعة

١٨٣٤ وفاة الأم

١٨٣٥ الزلزال الأكبر

١٨٣٨ وفاة الأب

١٨٤٠ التخرج بتخصص في الإلهيات

١٨٤٠-١٨٤١ الخطوبة

١٨٤١-١٨٤٢ الدراسة في برلين

١٨٤٢ (إما أو)، (الرجعي)، (خوف ورعدة)

١٨٤٤ (مفهوم القلق)، (شذرات فلسفية)

١٨٤٥ (مراحل على طريق الحياة)

١٨٤٦ (حاشية غير علمية)

١٨٤٩ (المرض حتى الموت)

١٨٥٠ (تدريب على المسيحية)

١٨٥٤ وفاة الأسقف مينستر

١٨٥٥ (الآن). الهجوم على الكنيسة القائمة.

١٨٥٥ الوفاة يوم ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) في كوبنهاجن

Twitter: @ketab_n

مؤلفات كيركجور (ترجمت إلى الإنكليزية)

- مذكرات مغوي البنات
- شذرات فلسفية أو شذرة من الفلسفة
- طهروا قلوبكم!
- يوميات سورين كيركجور
- نقاء القلب هو إرادة شئ واحد
- وجهة نظر.. لعملي كمؤلف
- مقالات مسيحية
- من أجل اختيار النفس
- العصر الراهن
- مراحل في طريق الحياة
- خوف ورعدة
- من أجل اختبار الذات، احكم بنفسك!
- خاتمة لحاشية غير علمية
- الرُّجعي
- المرض حتى الموت
- أفكار حول المواقف الحاسمة في الحياة الإنسانية
- التدريب في المسيحية
- مقالات توضيحية
- إما . . . أو
- مفهوم القلق
- الهجوم على العالم المسيحي

Twitter: @ketab_n

- أعمال الحب
- مسيح المعاناة
- حول السلطة والكشف (للمؤلف)
- (أ) باللغة الانجليزية
- الزلزال الأكبر في حياة سورين كيركجور
- (ب) باللغة الفرنسية
- ما هي الحقيقة في مؤلفات سورين كيركجور
- مدخل إلى الترجمة الفرنسية
- لكتاب كيركجور: إما . . . أو

Twitter: @ketab_n

الْمَرَضُ لَنْ يُؤَدِّي إِلَى الْمَوْتِ (يوحنا ١١: ٤) وبالرغم من ذلك مات لعازر وعندما أساء التلاميذ/ الحواريون فهم ما قاله السيد المسيح فيما بعد "لَعَازَرُ حَبِيبُنَا نَامَ، وَلَكِنِّي أَذْهَبُ لأُوقِظَهُ" (يوحنا ١١: ١١) قال لهم بوضوح، "لِعَازَرُ مَاتَ" (يوحنا ١١: ١٤).

ومن ثم قد مات لعازر بيد أن هذا المرض لا يؤدي للموت. الآن نحن نعرف أن المسيح كان يفكر في المعجزة التي تسمح للمُعَاينين، "إن آمنوا، يرون مجد الله" (١١: ٤٠)، المعجزة التي أقام فيها المسيح لعازر من الموت، بيد أنّ هذا المرض ما كان فقط لا يؤدي للموت، ولكنه كان أيضاً كما تنبأ السيد المسيح "بَلْ لأَجْلِ مَجْدِ اللهِ، لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللهِ بِهِ" (١١: ٤). أوه، لكن حتى لو لم يُقيم المسيح لعازر من الموت، أليس من الحق أيضاً أن هذا المرض، وذلك الموت ذاته، أما كان مرض يؤدي للموت؟ وفيما يقترب المسيح من القبر وصاح بصوت عال "لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا!" (١١: ٤٣) ألم يكن واضحاً أن "هذا" المرض ليس للموت؟ لكن حتى لو لم يَقُل المسيح هذه الكلمات- أليس هو بالحقيقة "الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ" (١١: ٢٥)، ها قد اقترب من القبر، لكن ليس ذلك إشارة كافية بأن هذا المرض ليس للموت، أليس وجود المسيح يعني بأن هذا المرض ليس للموت؟ ... من وجهة النظر الإنسانية، فالموت آخر المطاف؛ ومن وجهة النظر الإنسانية أيضاً، هناك أمل فقط طالما هناك حياة. لكن الموت بحسب المفهوم المسيحي لا يعني نهاية المطاف إطلاقاً، من ثمَّ فهو حدث بسيط ضمن سياق الكُل، الحياة الأبديّة...

Twitter: @ketab_n

نُرحب بآرائك ومقترحاتك.. رجاءًا لا تتردد في الكتابة إلينا..
فهذا يُسعدنا

١٦ شارع محمود بسيوني - من ميدان
الشهيد عبد المنعم رياض- الدور السابع-
شقة ٢١- وسط البلد - القاهرة - مصر

☎ (+٢٠٢) ٢٥٧٩٨٤١٤
٠١٨٦٥٤٨٣٨٨
٠١٦١٣٧٣٢٩٨
www.el-kalema.com
info@el-kalema.com

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تسبح في هذا الكتاب مع الفيلسوف العملاق "سورين كيركجارد". فقد ولد الفيلسوف الدانماركي الذي تنسب اليه مدرسة الفلسفة الوجودية المؤمنة في كوبنهاجن عاصمة الدانمارك. وكان الطفل السابع في اسرة بورجوازية ميسورة الحال . اشتهر عنه انه محاور بارع، خفيف الظل له قريحة متوقدة وفي جوانية نفسه كان يعاني اكتئاب عميق، ويحس بحزن خانق.

بدأ بالكتابة الفلسفية تحت اسماء مستعارة ذات طابع رمزي كعادة العصر، وكانت معظم كتاباته تمردًا على النزعة الهيجلية السائدة في زمانه. وفي هذه الكتابات العديدة طوَّر الكثير من الافكار التي ارتبطت فيما بعد بالفلسفة الوجودية، من منظور مؤمن، وهذا لتفريقها عن الوجودية الملحدة عند سارتر على سبيل المثال.

تظهر اعماله العديدة اهتمامًا شديدًا بالدين، وأيضًا تعتبر من أسس مدارس العلاج النفسي الحديثة وخاصة مدرسة "رولو ماي" في أمريكا عالم النفس والمعالج النفسي الكبير والذي تأثر بكيركجارد كثيرًا.

كرَّس كيركجارد حياته، ووقته، وجهده لهدف وحيد ألا وهو تأسيس المسيحية كديانة على أسس انسانية بالمعنى الفلسفي. او بعبارة اخرى وضع الأساس الانساني للمسيحية.ولذا يراه بعض الباحثين كمفكر انثروبولوجي . وقد قدم هذه الرؤية عبر مراحل ثلاث: -1المرحلة الاولى كتب فيها العديد من الكتب تحت اسم مستعار من بينها خطوات على طريق الحياة و في معظمها كانت اعمالا فلسفية وادبية ونفسية -2 المرحلة الثانية كتب فيها عدة كتب مخصصة اساسا لفهم الدين ومن بينها كتاب اعمال الحب و كتبها باسمه الحقيقي -3 المرحلة الثالثة كتب فيها مناضلا ضد سلطة الكنيسة الواقعية ومن بينها كتابه مدرسة المسيحية.

ISBN 977-384-160-X
[977-384-160-X] كيركجور

مكتبة دار الكلمة
LOGOS
نشر - توزيع
لدينا حلم
٠١٦١٣٧٣٢٩٨
www.el-kalema.com
info@el-kalema.com